HAZEM MASSAOD
HM
E-Books

أوشو
OSHO

النضج

عودة الإنسان إلى ذاته

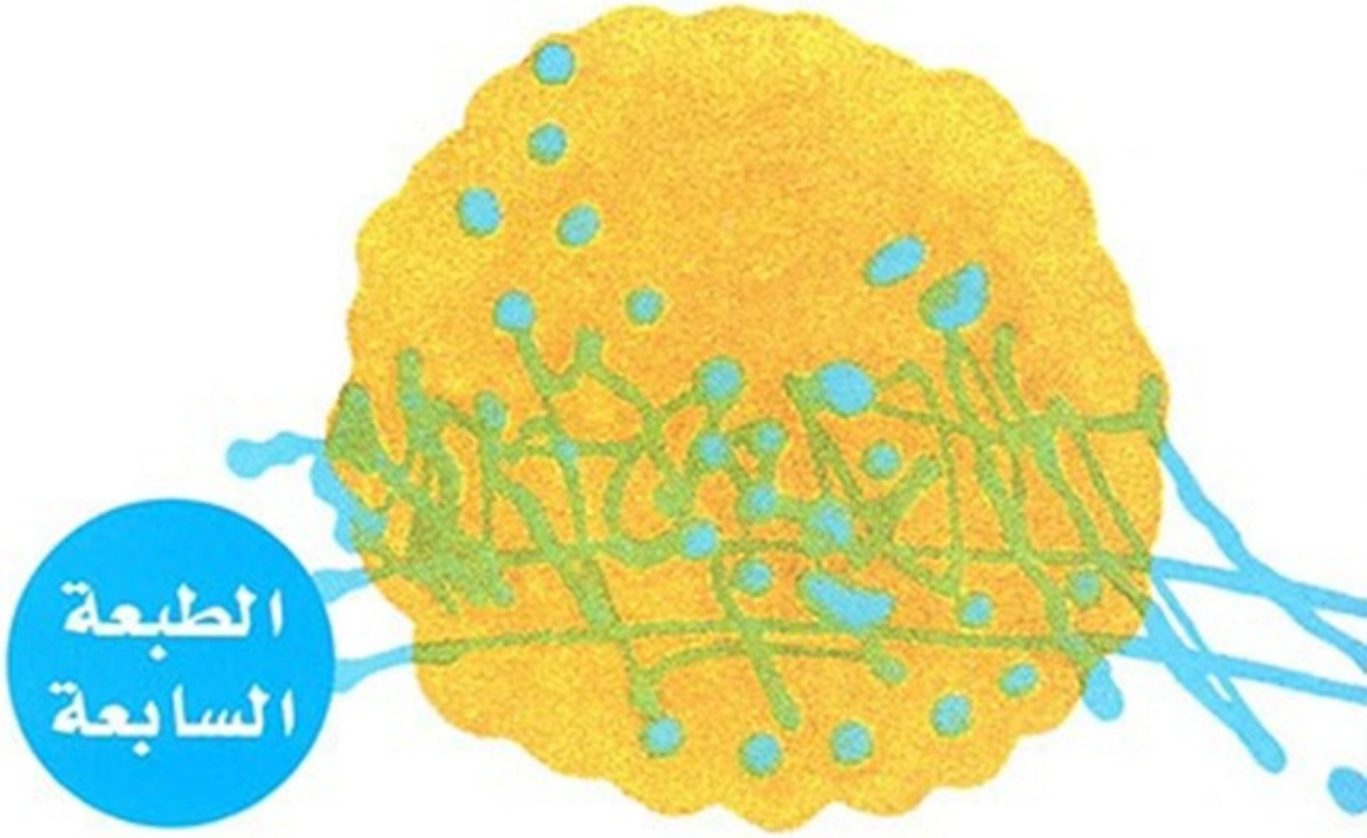

الطبعة السابعة

إعداد: مريم نور

شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

النضج

(عودة الإنسان إلى ذاته)

أوشو

إعداد: مريم نور

حصريًا لقناة د. حازم مسعود على تيليجرام

إِهْدَاءُ اَلنُّسْخَةِ اَلنَّصِّيَّةِ اَلْمُحَوَّلَةِ

إلى المكفوفين، المناضلين لأجل القراءة..

إلى عموم القرَّاء الشغوفين..

ببصيرتكم نستنير، وبشغفكم نسير.

نهديكم جميعًا هذا الكتاب، عسى أن يكون إضافة مفيدة لبنائكم الفكري والروحي، وأن تكونوا نبراسًا للعالمين.

ونسأل الله أن يتقبَّل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينتفع به العالمين من كل كفيفٍ وذوي الأبصار. وعسى أن تشملنا نواياكم الصالحة ودعواتكم الطَّيِّبَة، المُستجَابَة بإذنه سبحانه جلَّ عُلاه.

ونسأله أن يرزقنا جميعًا جنَّة الدنيا والآخرة، وأن يهدينا وايَّاكم سَوَاءَ السَّبِيلِ، صراطه المستقيم. فعسى ربّي أن يهدينا لأقرب من هذا رشدًا.

المُحمَّدين

مقدّمة

أيّها الانسان...

مـن مـنّا انسـان...؟ مـن منـا ناضـج؟ مـن مـنّا يعـرف معنـى النضج؟ الناضج هو الناصح... الناصح جسديًا والذي ينصح كلاميـًا... والـذي يملـك مـاديًا والـذي يـأمر سياسيًا والـذي يستعبدُ ويستبعدُ ويحـرّم ويحـلّل حتـى يصـل بنـا إلـى مـا وصلنا إليه اليوم، والآتي أفصح وأفضح والعياذ بالله...

ما هو النضج؟ ما معنى نضجت واستوت؟ حتى المزارع لا يُعـرف معنـاها... حتـى الطبيعـة التـي تحـت حكـم الإنسـان أصبحت متخلّفة وغير ناضجة...

إن الطبيعة الطبيعية وحدها تعرف معنى النضج وتقول «الله يرحم النضج».

لقد مات علم «انطوى واستوى» ولا استواء حتى على خط الاستواء ولا انطواء ولا حياء...

الفج سبق النضج... والنضج هو الرشد ورحم الله الخلفاء، ونحن اليوم نعيش في عصر الحلفاء مع الأعداء والأعداد ونعدو خلف الجهل والنضج على الله والعياذ بالله.. لنقرأ معًا هذا الكتاب.. لنقرأ ما بين الكلمات.. استمع واستمتع بـالمعاني... تـذكّر أنـك صـاحب ثـروة داخليـة هـي الإدراك والرشد واليقين وهذا هو النضج.. النضج هو البراءة مع الحكمة... هو مسيرة للأحفاد مع الأجداد.. هو توازن الفكر والعقل والنفس والروح..

أيـن أنتـم أيـها الخلفـاء الراشـدون؟ لمـاذا نحـن فـي هـذا التخلّف...؟ نعم.. كما تكونوا يولّى عليكم...

قديمًا كان للنضج وقت وفصول وعلوم وحكماء وأولياء...

واليوم يبدأ الطفل بالسياسة وهو في رحم والديه...

كلنا نفهم بكل شيء ونهتم بكل شيء ولا شيء ناضجًا ولا عمل كاملاً ولا يمين صادقا...

إلى أين ذهب النضج...؟.؟

النضج لا يزال حيًّا وناضجًا وناجحًا ولكن الإنسان الذي يطمح للنضج لا يزال غافلاً... لا يزال يطمع بالطمع المادي..

بالسيادة وبالكرامة وبالاستقلال المبني على الشعارات والمشاعر والمظاهرات والتسويق إلى الوفاق بالنفاق...

إن النضج صفة سامية لدى الإنسان والطبيعة، ولكن أين أنت أيها الإنسان الطبيعي الذي يواكب هذه الصفة التي هي من حق كل الخلق؟

من المسؤول عن هذا الوضع؟

أنا وأنت ونحن... السائل هو المسؤول... كلٌ منا مسؤول عن نفسه وعن حياته وعن قدره.. اعقل وتوكّل ونحن نتوكّل بدون العقل... هذا هو الجهل...

أين أنت يا لقمان الحكيم والعليم والحليم...؟

إن لقمان موجود ولكن أين أنت يا ابن لقمان؟

ماذا نفعل في هذا الزمان؟

نراقب الشاشات والهشاشات... ونسير مع المظاهرات والمجتمعات وننسى مراقبة النفس والجهاد الأكبر وهو أكبر الجهاد...

إن كلمة نضج أصبحت حبرًا على ورق... والأحبار ولّوا، وبقيت الأخبار ويلات وولايات تتحكم فينا من جميع الجهات... كلنا تحت حكم فرعون، ومات الإنسان...

من أين يأتي النضج؟ من أين يبدأ الوَعي...؟

تذكر أنك وَعي... أنت الماء وليس الإناء... أنت إنسان حر ولست حبرًا... تذكر ولو للحظة من أنت...؟ لنعد معًا إلى الجذور... إلى الأصول... إلى الفصول... إلى المواسم... إلى الاتصال بكل فصل وبكل عقل.. هذه هي حكمة اعقل وتوكّل...

إن العقل هو ولّي النضج وهو المصدر لهذا الجوهر... وإن القلب هو عرش الله.. قلب المؤمن بالله... ولكن ما نراه اليوم هو العكس تمامًا... أصبح رأس المال هو سيد الإنسان.. الرأس هو الرئيس وهو المرؤوس وهي سيد الرؤوس...

كيف نعود إلى النضج؟

النضج هو اسم وصفة وفصل...

هو العودة إلى البراءة... إلى الحكمة.. إلى الجنّة المفقودة في الخارج والموجودة في الداخل...

«كونوا كالأطفال» قال السيد المسيح.. وليس كالأولاد...

الولد ولد ولو حكم بلد...

هذا ما نراه اليوم في العالم وفي أمة العرب بنوع خاص..

النضج هو ولادة جديدة من رحم جديد... هو المسؤولية على كل إنسان... أنا المسؤولة عن حياتي.. أنت صاحب هذه النعمة...

النضج في أن نرى من أنت؟ ما هو دوري على هذا الممرّ؟

لقد غاب النضج وأصبحنا آلة تتحرك كالدمية في أيدي الجهلاء لخدمة الآليات والويلات والعمارات والدمار والأخبار وشريعة الغاب وناطحات السحاب والابراج والسيادة والاستغلال والاستبداد وإلى كل ما نراه على الشاشات والساحات

وحتى في العائلات والأفراد وكلنا في هذه السفينة ومن هو الربّان يا إنسان؟

نعم لقد صدقْتَ يا أخي... نحن وأنا وأنت وهو وهي وكلنا في هذا الجهل معًا، وإلى أين المصير...؟

لقد خلقنا اللّه في عناية وكل فرد منا آية... لماذا أصبحنا آلة تُرمى في النفاية؟

هـذا مـا فعلنـاه بأنفسـنا... الحُسـن مـن اللّـه والسـوء مـن نفسي...

لنعد إلى اللّه... إلى الأصول... إلى لغة القلب.. إلى الحب...

لنعد إلى الأرض.. إلى الفصول وإلى المواسم.. ولنعش مع الطبيعـة ولـيكن كـل واحـد منـا مزارعًا فـي حياتـه وبيتـه وأرضه.. وكلٌ منا راعٍ في رعيته ولننهض من هذه القمامة ونعود إلى القمة الساكنة في السكينة... ولنسر معًا كما أمرنا اللّه...

ابدأ بنفسك يا ابن آدم... أنا السائل وأنا المسؤول.. ولنقرأ هذا الكتاب النابع من قلبٍ ناضج يضجّ بالحقيقة الساكنة فـي قلوبنـا لا فـي جيوبنـا... القلـب هـو العـرش ومنـه تنبـع الحكمـة والعقـل والمـال والجـهاد.. لـنزرع معًا هـذه البـذرة الصالحة وسيأتي يوم الحصاد «ومن ثمارهم تعرفونهم»...

لنقـرأ هـذا الكتـاب ولنتعـرف علـى القلـب الـذي يقـرأ هـذا الكتاب... وكلنا من قلب واحد...

شكرًا لكم

مريم نور.

تمهيد

فن العيش

خُلِق الإنسان لينعم بالحياة، ولكنه قد يضيع هذه الفرصة. وهو مسؤول كليًا عن ذلك. إنه يتنفس، ويأكل، ويشيخ، ويقترب من الموت ـ ولكن ليس هذا هو المقصود بالحياة، فهذا في الواقع موت تدريجي. من المهد إلى اللحد.... سبعون سنة من الموت التدريجي. وبما أن ملايين الناس من حولنا يموتون هذا الموت البطيء التدريجي فإننا نبدأ بتقليدهم. والأطفال يتعلمون كل شيء من الأشخاص الذين يحيطون بهم، وهم محاطون بالأموات.

لكن يجب أولاً أن أوضح ما أقصده بـ«الحياة». الحياة هي أن ننضج وليس أن نتقدم في السن. وهذان أمران مختلفان.

إن الحيوان، أي حيوان، يتقدم في السن، ولكن النضج هو ميزة محصورة بالإنسان.

النضج يعني أن نتعمق في ماهية الحياة في كل لحظة؛ يعني أن نبتعد عن الموت وليس أن نقترب منه. وكلّما تعمّقنا في ماهية الحياة، ازداد فهمنا لميزة الخلود فينا. نحن نبتعد عن الموت؛ وستأتي اللحظة حيث ترى أن الموت ليس سوى إبدال لملابسنا، إبدال لمنازلنا، إبدال لأشكالنا ـ لا شيء يموت.

الموت ليس سوى وهم كبير.

لتفهم معنى النضج، راقب الأشجار. هناك توازن ـ كلما زاد ارتفاع الأشجار، تعمّقت جذورها. لا يمكننا أن نتخيّل جذورًا صغيرة سطحية لشجرة ارتفاعها خمسون مترًا؛ فهذه الجذور السطحية لن تتمكن من إبقاء الشجرة الضخمة منتصبة.

وفي الحياة، أن ننضج يعني أن نزداد تعمقًا ـ أن نتجه نحو جذورنا.

بالنسبة لي، إن أول وأهم مبدأ في الحياة هو التأمّل، وما عداه يأتي في الدرجة الثانية. وأفضل وقت للتأمل هو مرحلة الطفولة. وعندما تكبر في السن، فذلك يعني أنك بدأت تقترب من الموت، وتصبح ممارسة التأمل أكثر صعوبة.

التأمل يعني التوجه نحو الخلود، والأبدية، والألوهية. والطفل هو الأكثر أهلية لذلك لأنه لا يزال غير مثقل بالمعرفة، بالدين، بالثقافة، وما إلى ذلك. إنه بريء.

وهناك من ينظر إلى براءة الطفل على أنها جهالة. صحيح أن ثمة شبهًا بين الجهالة والبراءة، ولكنهما ليسا شيئًا واحدًا. فالجهالة هي حالة لامعرفة كالبراءة - ولكن هناك فرق كبير أغفله الإنسان حتى الآن. إذ إن البراءة هي حالة لامعرفة غير راغبة بالمعرفة. إنها راضية ومكتفية بما هي عليه.

ليس لدى الطفل الصغير أي طموح أو رغبات. وهو مأخوذ باللحظة الآنية - وإن عصفورًا على غصن شجرة ليستولي على أنظاره كلّيًا؛ وتسحره ألوان الفراشة وألوان قوس قزح في السماء...ولا يمكنه أن يتخيّل وجود أي شيء يضاهي قوس قزح بروعته. وفي الليل تسحره النجوم في السماء...

البراءة غنية، ومكتفية، ونقية.

وأما الجهل فهو فقير ومتطلّب - يريد هذا، يريد ذاك، يريد الحصول على المعرفة، يريد أن يكون محترمًا، وغنيًا، وقويًا. والجهل يسير في طريق الرغبات، أما البراءة فهي حالة خالية من الرغبات. ولكن بما أن كليهما خالٍ من المعرفة، فقد أصابنا الارتباك حيال طبيعتهما واعتبرناهما متشابهين.

إن أول خطوة في فن العيش هي أن نميّز بين الجهل والبراءة. كما يجب أن نساند البراءة ونحميها - لأن الطفل يجلب معه أعظمَ الكنوز، وهو الكنزَ الذي يعثر عليه الحكماء بعد عناء طويل،

فيقولون إنهم يعودون أطفالاً، ويولدون مجددًا. والبراهمان Brahman الحقيقي، العارف الحقيقي، في الهند، يسمي نفسه دويج Dwij، أي المولود مرتين. لماذا الولادة مرتين؟ ماذا حصل للولادة الأولى؟ ما هي الحاجة للولادة الثانية؟ وماذا سيفيد من الولادة الثانية؟

في الولادة الثانية سيحصل على كل الأشياء التي كانت متوفرة له في الولادة الأولى، والتي سحقها ودمّرها الأهل والمجتمع بحَشوِهِ بالمعرفة. كان لا بد من القضاء على بساطته، لأن البساطة لن تفيده في هذا العالم التنافسي. بساطته ستظهره بمظهر السذاجة وسَتُستغل بأية طريقة ممكنة. وخوفًا من المجتمع والعالم الذي صنعه الإنسان، نحاول أن نزوّد الطفل بالذكاء، والمعرفة، والدهاء ليصبح في فئة الأقوياء، وليس في فئة المظلومين الضعفاء.

وعندما يبدأ الطفل بالنمو بالاتجاه الخاطئ، تسير حياته بأكملها في هذا الاتجاه.

وحين تدرك أنك تضيّع فرصة الحياة، فإن المبدأ الأول الذي يجب عليك استعادته، هو البراءة. تخلّ عن المعرفة، تناسَ أفكارك والنصوص والتعليمات التقليدية. حاول أن تولد مجددًا، أن تصبح بريئًا - إن الأمر يعود لك. نظّف ذهنك من كل ما هو معرفة مستعارة، من كل ما تعلمته بواسطة التقاليد والعادات، من كل ما اكتسبته عن طريق الآخرين - الأهل، المدرسين، الجامعات - تخلّ عن كل ذلك. كن بسيطًا مجددًا، كن طفلاً مجددًا. وهذه المعجزة ممكنة بواسطة التأمل فقط.

التأمل هو ببساطة عملية جراحية غريبة بنوعيتها تنزع عنك كل ما هو مضاف إليك وتبقي ما هو أصيل فيك فقط؛ تحرق كل الأثواب الخارجية وتبقيك عاريًا تحت الشمس وفي مهب الرياح وكأنك أول إنسان وطأت قدماه الأرض - الإنسان الذي لا يعرف شيئًا، والذي يجب أن يكتشف كل شيء بنفسه، والذي يجب أن يكون باحثًا، والذي يجب أن يبدأ رحلة العمر.

الخطـوة الثانيـة هـي رحلـة العمـر. يجـب أن تكـون الحيـاة عملية بحث ـ ليس رغبة بل عملية بحث. ليس طموحًا بأن نصـبح هـذا أو ذاك، أن تصـبح رئيسـًا للحكومـة أو رئيسًا للجمهورية، ولكنها عملية بحث عن «مَن أنا؟» مـن الغـريب أن الأشـخاص الـذين لا يعـرفون مَن هـم، يحـاولون أن يصـبحوا شـخصًا مـا. ولا يعـرفون شـيئًا عـن كينونتهم Being، ويتوقون إلى الصيرورة Becoming.

الصيرورة هي بلاء الروح.

أنت الكينونة

أن تكتشف كينونتك هو بدء الحياة. عند ذلك كل لحظة هي اكتشاف جديد، وكل لحظة تجلب فرحًا جديدًا. هي سـرٌّ جـديد يفتـح أبوابـه، وحـبٌّ جـديد ينمـو فـي داخلـك، وشـعور بـالعطف لـم تختبـره مـن قبـل، وإحسـاس مـرهف بالجمال والطيبة. وتغدو مرهف الإحساس لدرجة أن ورقة عشـب صـغيرة تصـبح فـي غايـة الأهميـة بالنسـبة لـك.

وإحساسك المرهف يجعلك ترى بوضوح أن ورقة العشب الصـغيرة هـذه لا تقـلّ أهميـة عـن أكبـر النجـوم؛ ومـن دون ورقة العشب هذه يصبح الوجود أقلّ مما هو عليه. ورقة العشـب هـذه فريـدة، لا يمكـن اسـتبدالها بشـيء آخـر، ولـها طابعها الفردي.

وهـذا الإحسـاس المـرهف سـيخلق لـك صـداقات جـديدة - صـداقات مـع الأشـجار، والطـيور، والحيوانـات، والجبـال، والأنهر، والمحيطات، والنجوم. وتزداد الحياة غنىً عندما ينمو الحب، وتنمو الصداقة.

في حياة القديس فرانسيس St. Francis. حادثة طريفة. كان يسافر دائمًا برفقة حماره الذي تنقل معه من مكان إلى آخـر وشـاركه تجـارب الحيـاة. وهـا هـو يحتضـر الآن، وقـد تجـمّع حولـه تلامـذته الـذين

أرادوا أن يستمعوا إلى آخر كلماته. وآخر كلمات يتفوّه بها الإنسان المحتضر هي أهمّ كلماته لأنها تحتوي على عُصارة تجاربه في الحياة.

ولكنّ التلامذة لم يتمكنوا من تصديق ما سمعوه....

القديس فرانسيس لم يتوجّه بكلامه إلى التلامذة، بل إلى الحمار. قال: «أيها الأخ، أنا أدين لك بالكثير. لقد حملتني من مكان إلى آخر من دون أن تصدر عنك أية شكوى ومن دون أن تبدي أي تذمّر. كل ما أريده قبل أن أفارق هذه الحياة هو أن تصفح عني؛ لم أعاملك بطريقة إنسانية». كانت هذه آخر كلمات القديس فرانسيس. لقد أظهر إحساسًا مرهفًا بمناداته للحمار «أيها الأخ» وبطلبه الصفح منه.

كلما ازدادت أحاسيسك رقةً، تعاظمت فيك الحياة. ولم تعد بركة صغيرة؛ لقد أصبحت بحجم المحيطات. ولم تعد حياتك محصورة بك وبعائلتك فقط، بل أصبح الوجود بأكمله عائلتك. وإذا لم يصبح الوجود بأكمله عائلتك، فأنت لم تعرف ما هي الحياة - فالإنسان ليس جزيرة، ونحن جميعنا مترابطون.

نحن قارة شاسعة، مترابطة بطرق لا تُحصى.

إن التأمل سيمنحك إحساسًا مرهفًا وشعورًا رائعًا بالانتماء إلى العالم. إنه عالمنا - النجوم لنا، ونحن لسنا غرباء هنا. نحن ننتمي جوهريًا إلى الوجود. ونحن جزء منه، ونحن قلب الوجود.

والتأمل ينعم عليك بصمت رائع - لأنه يزيل كل الأفكار التي تنبع من المعرفة... ثمة صمت مطبق، وتفاجأ: هذا الصمت هو الموسيقى الوحيدة.

إن كل أنواع الموسيقى ما هي إلا محاولة لإبراز هذا الصمت. ولقد شدد قدامى العرّافين في الشرق على أن الفنون الرائعة - الموسيقى، الشعر، الرقص، الرسم، النحت - ولدت جميعها عبر التأمل. وهذه الفنون هي عبارة عن محاولة لجلب الأشياء غير القابلة للإدراك إلى عالم المعلوم من أجل الأشخاص الذين هم غير

مستعدين للقيام برحلة العمر حتى الآن. ربما تشعل أغنية الرغبة بالبحث عن المصدر، وقد يحقق تمثال ذلك.

في المرة القادمة التي تدخل فيها معبدًا لغوتام بوذا Gautam Buddha، اجلس بصمت فحسب، وراقب التمثال؛ ولا سيّما أن التمثال صُنع بطريقة معيّنة، وبمقاييس معينة، تجعل من يراقبه يلتزم الصمت. إنه تمثال للتأمّل؛ والغاية منه ليست غوتام بوذا.

ولذلك تبدو هذه التماثيل متشابهة ـ ماهافيرا Mahavira، غوتام بوذا، ناميناثا Neminatha، أديناثا Adinatha.... - كذلك ستجد أن التماثيل التي تمثل حكماء اليانية Jainas الأربعة والعشرين الموجودة في نفس المعبد، هي متشابهة تمامًا. عندما كنت طفلاً تعودت أن أسأل والدي: «هل بإمكانك أن تُفسّر لي كيف يمكن أن يكون أربعة وعشرون شخصًا متشابهين تمامًا ـ نفس الحجم، نفس الأنف، نفس الوجه، نفس الجسم...؟».

وكان يجيبني: «لا أدري. هذا التشابه التام يُحيّرني أيضًا. هذا شيء لم أسمع به من قبل - لا يوجد شخصان متشابهان تمامًا في العالم، فكيف بأربعة وعشرين؟».

ولكن عندما بلغت مرحلة التأمل وجدت الجواب بنفسي - وجدت أنه لا علاقة لهذه التماثيل بالأشخاص الذين ترمز إليهم. ولكن هذه التماثيل لها علاقة بما كان يحدث داخل هؤلاء الأشخاص، والذي كان مماثلاً. وعلينا أن لا نعير أي اهتمام بالخارج؛ بل يجب أن نصرّ على أن الداخل فقط هو جدير بالاهتمام. إن الخارجي غير مهم، أكان الشخص فتيًا أم مُسنًّا، أسود أم أبيض، رجلاً أم امرأة - لا فرق في ذلك؛ المهم أن يكون في داخله محيط Ocean من الصمت. وفي هذه الحالة المحيطية، يأخذ الجسم وضعية معيّنة.

إذًا تلك التماثيل مصنوعة بحيث أنك لو جلست صامتًا وراقبت فحسب، ثم أغلقت عينيك، سينتابك شعور بأن طيف صورة ما دخل جسدك،

وستشعر بأحاسيس لم تشعر بها من قبل. لم تُبنَ هذه التماثيل والمعابد للعبادة؛ لقد بنيت لنحيا الخبرات من خلالها. وهي مختبرات علمية - لا علاقة لها بالدين! إنها حصيلة علم سرّي استُخدم طوال قرون عديدة لتتمكن الأجيال اللاحقة من الاستفادة من خبرات الأجيال السابقة. ولم يُستخدم هذا العلم من خلال الكتب والكلمات، وإنما من خلال شيء أعمق بكثير - من خلال الصمت، والتأمل، والسكينة.

وبالقدر الذي يزداد فيه صمتك، تزداد فيك روح المحبة والصداقة؛ وتصبح حياتك حالة رقص، وفرح، واحتفال.

هل سبق أن تساءلت لماذا، في جميع أنحاء العالم، في جميع الثقافات والمجتمعات، هناك أيام قليلة من الاحتفال. هذه الأيام القليلة من الاحتفال ما هي إلا نوع من التعويض - لأن المجتمعات انتزعت جميع الاحتفالات من حياتك، وإذا لم تعوّضك بعض الشيء عن ذلك، فإن حياتك ستشكّل خطرًا على المجتمع.

كل ثقافة تقدم بعض التعويضات، حتى لا يسيطر الحزن والتعاسة على الإنسان. ولكنها تعويضات مُضلّلة.

إن المفرقعات النارية والأضواء الملونة لن تدخل الفرح إلى قلبك. هي للأطفال فقط - بالنسبة لك هي ليست سوى إزعاج فحسب. أما عالمك الداخلي، فهو مليء دائمًا بالفرح، والأغاني، والأضواء.

تذكّر دائمًا أن المجتمع يقدم لك التعويضات عندما يشعر أن الكبت الذي تعرّضت له لفترة طويلة قد يؤدي إلى نتائج تشكّل خطرًا عليه. وبذلك يجد لك المجتمع طريقة لتصريف بعض هذا الكبت - ولكن هذا ليس بالاحتفال الحقيقي.

الاحتفال الحقيقي يجب أن ينبع من داخلك

والاحتفال الحقيقي لا يمكن أن يجري وفقًا لجدول زمني، كـأن نحتفـل فـي يـوم رأس السـنة. وإنـه لأمـر غـريب، أن تعـيش حالـة تعاسـة طـوال السـنة، وفجـأة تتخلـص مـن تعاسـتك يـوم رأس السـنة، مـن خـلال الـرقص. فـإمّا أن التعاسة لم تكن حقيقية وإمّا أن فرح الاحتفال لم يكن حقيقيًا؛ ولا يمكن أن يكون كلاهما حقيقيًا. وعندما ينتهي يوم رأس السنة، تعود إلى حفرتك المظلمة، إلى التعاسة والقلق.

يجـب أن تكـون الحيـاة احتفـالاً متواصـلاً، ومـهرجانًا مـن الأنوار طيلة السنة. عندها فقط، يمكنك أن تنضج، وأن تزهر.

حَوّل أشياء صغيرة إلى احتفال.

على سبيل المثال، في اليابان لديهم احتفال الشاي. في كل دير تابع لمذهب الزن Zen وفي كل منزل يستطيع أصحابه تحمّل النفقات، يوجد معبد صغير لشرب الشاي. الآن، لم يعد الشاي شيئًا اعتياديًا دنيويًا؛ لقد حوّلوه إلى احتفال. والمعبـد المخصـص لشـرب الشـاي مبنـي بطريقـة خاصـة - مبني داخل حديقة غنّاء، تتوسّطها بركة تحتوي على طيور الإوز، ومُسيّجة بالأزهار. يأتي الضيوف، وقبل أن يدخلوا، ينبغي أن يخلعوا أحذيتهم ويتركوها في الخارج؛ إنه معبد. وعندما تدخل إلى المعبد، لا يمكنك التكلم؛ يجب أن تترك أفكارك وكلامك مع حذائك في الخارج. تجلس في وضعية تأملية، والمضيفة، المرأة التي تحضر لك الشاي - والتي تتنقـل برشـاقة متناهيـة وكأنـها تـرقص - تحضـر الشـاي وتضعه في كوب أمامك وكأنك من الآلهة - تنحني أمامك باحترام وتقابلها أنت باحترام متبادل.

يُحضّر الشاي في وعاء خاص، هو الساموفار Samovar، الذي يُصدر أصواتًا جميلة، هي أنغامه الخاصة. وكجزء من الاحتفال، على كل شخص أن يصغي أولاً إلى أنغام الشاي. وهكذا فإن الجميع يصمتون ويصغون... والطيور تُغرّد في الحـديقة، ووعـاء الشـاي يخلـق أنغامـه الخاصـة، وتُخـيّم السكينة...

وعندما يجهز الشاي ويُسكب في أكواب الحاضرين، يجب أن لا تحتسيه كما يفعل الناس في كل مكان. أولاً يجب أن تشتَمّ عطر الشاي، بعد ذلك ترتشف الشاي وكأنه آت من عالم آخر، ترتشفه ببطء - لا داعي للعجلة. قد يعزف أحدهم على الناي أو القيثارة. إن هذا شيء عادي - الشاي - حوّلوه إلى احتفال ديني رائع حيث يغادره الجميع بعد أن ينالوا غذاءهم الروحي مما يجعلهم يشعرون بالحيوية والنضارة.

وما يمكن أن نفعله مع الشاي، يمكن أن نفعله مع أي شيء آخر - مع الثياب، ومع الطعام. ولكن الناس تعيش في حالة جمود؛ وإلّا لكانوا شعروا أن لكل نسيج جماله الخاص وملمسه الخاص. إذا كنت مرهف الإحساس، لا تعود الثياب مجرّد أشياء تغطي جسدك، وإنما تصبح شيئًا يُعبّر عن خصائصك الفردية، وذوقك، وثقافتك، وذاتك. إن كل ما تفعله يجب أن يعبّر عن ذاتك؛ وأن يتضمن توقيعك. بعدها تصبح الحياة احتفالاً متواصلاً.

حتى عندما يصيبك المرض وتلزم السرير، ستحوّل تلك اللحظات التي تلزم فيها السرير إلى لحظات جمال وفرح، لحظات راحة واسترخاء، لحظات تأمل وإصغاء للموسيقى أو الشعر. ولا داعي لأن تشعر بالحزن كونك مريضًا. بل يجب أن تكون سعيدًا لأن الجميع يعملون في مكاتبهم، بينما أنت تستلقي مسترخيًا في سريرك كالملك ـ بعضهم يحضر لك الشاي، ووعاء الشاي يرنّم أنغامه، وأحد الأصدقاء يتطوّع بأن يعزف لك على الناي...

هذه الأشياء أهم بكثير من أي دواء. عندما يصيبك المرض، استدع الطبيب. ولكن أهم من ذلك يجب أن تستدعي الذين يحبونك لأنه لا دواء أفضل من الحب. اتصل بأولئك الذين بإمكانهم أن يخلقوا الجمال، والموسيقى، والشعر حولك، لأنه لا شيء يشفي أكثر من جو احتفالي. والطب هو أدنى أنواع العلاج ـ ولكن يبدو أننا نسينا كل شيء، وتوجب علينا أن نعتمد على الطب وأن نبدو بمظهر التذمر والحزن، وكأننا نضيّع قسطًا كبيرًا من الفرح بعدم ذهابنا إلى المكتب حيث

نعمل. لقد كنت تعيسًا في المكتب - تغيبت عن المكتب يومًا واحدًا ولكنك لا تزال تتمسك بتعاستك - لا يمكنك التخلي عنها.

تصرّف بطريقة خلّاقة، وحقق أفضل ما يمكنك تحقيقه عندما تكون في أصعب الوضعيات ـ هذا ما أسمّيه فن العيش. وإذا عاش الإنسان حياته بأكملها، وجعل من كل لحظة منها لحظة حب، وجمال، وفرح، سيكون موته بالطبع تتويجًا لجهود حياته - اللمسات الأخيرة... ولن يكون موته بشعًا كما يحصل عادةً للجميع في كل يوم.

إذا كان الموت بشعًا، فهذا يعني أن حياتنا بأكملها كانت وقتًا ضائعًا. ولكن يجب أن نتقبل الموت باطمئنان داخلي، كدخول متشوّق لعالم المجهول، كوداع فرِح لأصدقاء قدامى وعالم قديم. يجب أن لا نعطيه صفة مأساوية.

كان أحد معلمي الزن، لِن تشي Lin Chi، يحتضر، وقد تجمّع حوله آلاف من أتباعه ليستمعوا إلى عظته الأخيرة، ولكن لِن تشي كان مستلقيًا على الأرض - مبتسمًا وفرحًا، ولا ينطق بأية كلمة.

بعد أن تبيّن أن لِن تشي على وشك أن يفارق الحياة ولم ينطقٍ بكلمة بعد، ذكّره أحد أصدقائه - وكان معلم زن بحد ذاته وليس تلميذًا للن تشي، ولذلك كان بإمكانه أن يخاطبه بهذه اللهجة: «لن تشي، هل نسيت أنه عليك أن تقول كلماتك الأخيرة؟ لقد قلت دائمًا أن ذاكرتك ضعيفة. أنت تموت... هل نسيت؟» قال لن تشي: «أصغوا فقط». وفي تلك الأثناء كان سنجابان يركضان على السطح ويُحدثان أصواتًا حادة، فقال: «ما أجمل ذلك»، ثم فارق الحياة.

عندما قال: «أصغوا فقط»، خيّم صمت مطبق لبرهة قصيرة. واعتقد الجميع أنه سيقول شيئًا عظيمًا، ولكن كان هناك فقط سنجابان يتقاتلان، يصرخان ويركضان على السطح... ثم ابتسم وفارق الحياة. ولكنه أعطى رسالته الأخيرة: لا تقسموا الأشياء إلى صغير وكبير، تافه وهام.

كل شيء هام. في هذه اللحظة، تتساوى أهمية موت لن تشي مع السنجابين اللذين كانا يركضان على السطح، لا فرق بين الاثنين. كل شيء يتساوى في الوجود. كانت هذه مجمل فلسفته، مجمل تعاليمه في الحياة - لا يوجد شيء صغير وشيء كبير؛ إن الأشياء هي ما تُصنع منه.

ابتدأ بالتأمل، وبعد ذلك تنمو في داخلك الأشياء - الصمت، والصفاء، والسعادة، والحس المرهف. وحاول أن تبرز إلى الملأ كل ما ينتج عن التأمل. شارك به الآخرين، لأن كل ما ينتج عن المشاركة ينمو بسرعة. وعندما تصل إلى لحظة الموت، ستعرف أن لا وجود للموت. يمكنك أن تقول وداعًا، ولا داعي لدموع الحزن - ربما كان الأجدر أن تكون دموع الفرح وليس دموع الحزن.

ولكن يجب أن تتحلّى بالبراءة أولاً.

إذًا، في بادئ الأمر، تخلّص من جميع النفايات التي تحملها - وجميعنا يحمل الكثير من النفايات! وقد نتساءل، لأية غاية؟ لأنك كنت تستمع إلى الآخرين يقولون لك إن تلك هي أفكار ومبادئ عظيمة... لم تستخدم ذكاءك. استخدم ذكاءك.

الحياة في غاية البساطة، إنها رقصة فرح. وبإمكان الأرض أن تمتلئ بالفرح والرقص، ولكن هناك بعض الناس الذين لهم مصالح راسخة بأن لا يتمتع أي إنسان بالحياة، وأن لا يبتسم أو يضحك، وبأن ينظر إلى الحياة على أنها خطيئة وعقاب. كيف يمكنك أن تتمتع بالحياة عندما يقال لك باستمرار أنها عقاب، وأنك تقاسي العذاب لأنك قمت بأفعال خاطئة، وأن الحياة هي سجن رُميت به لتعاني.

أنا أقول لك إن الحياة ليست سجنًا ولا عقابًا. إنها مكافأة، وقد أعطيت فقط للذين فازوا بها واستحقوها. الآن، من حقك أن تتمتع بالحياة؛ وأن لا تتمتع بالحياة. وسيكون عملك مضادًا للوجود إذا لم تجمّل الحياة، وإذا

تركتها كما وجـدتها. لا تفعـل ذلـك، اتركـها أكثـر سـعادة، وأكثـر جمـالاً، وأكثر عطرًا.

اصغِ إلى ذاتك. إنها تعطيك تلميحات متواصلة؛ إنها صوت صغير خافت. إنها لا تصرخ في أذنك، لا شك في ذلك. وإذا أنت التزمت الصمت ستجد طريقك. كن ذاتك. لا تحاول أن تكون شخصًا آخر، وستصبح ناضجًا. والنضج هو أن نتقبل المسؤولية بأن نكون ذاتنا الحقيقية، مهما كان الثمن. أن نخاطر بكل شيء لنكون ذاتنا الحقيقية، وهذا كل ما يعنيه النضج.

تعريفات

من الجهل إلى البراءة

النضج والبراءة لهما نفس المعنى، مع فارق بسيط: هو أن النضج يعني استعادة البراءة. ويولد كل طفل بريئًا ولكن المجتمع يفسده. وكل الثقافات استغلت براءة الطفل، واستعبدته، وطبّعته لخدمة مصالحها ومآربها الخاصة - السياسية، والاجتماعية، والعقائدية. وعمل الكهنة ورجال السياسة على تنفيذ هذه المؤامرة.

في اللحظة التي يصبح فيها الطفل جزءًا من المجتمع، يبدأ بفقدان شيء في غاية الأهمية؛ يبدأ بفقدان الاتصال مع الله. يدع الرأس يوجّه سلوكه، وينسى وجود القلب كلّيًا - والقلب هو الجسر الذي يوصل إلى الكينونة. إذ لا يمكنك أن تصل إلى ذاتك من دون القلب، فهذا مستحيل. ولا يمكنك أن تصل إلى ذاتك من الرأس مباشرة؛ بل يجب أن تسلك طريق القلب. ولكن المجتمعات كلّها تحاول تحطيم القلب. إنها ضد الحب، وضد المشاعر؛ وهي تدين المشاعر لكونها عاطفية. ولقد أدانت العشاق عبر العصور، لأن الحب لا ينبعث من الرأس بل من القلب. والإنسان الذي يمكنه أن يحب، سيكتشف ذاته عاجلاً أم آجلاً - وعندما يكتشف الإنسان ذاته، سيتحرر من جميع الأنظمة والأنماط. سيتحرر من جميع القيود ويصبح مطلق الحرية.

كل طفل يولد بريئًا ولكنه يُزوّد بالمعرفة من قِبل المجتمع. لذلك هناك مدارس، وكليات، وجامعات تعمل على إفساده وتدميره.

إن النضج يعني أن تسترد براءتك الضائعة، أن تستعيد جنّتك، أن تصبح طفلاً من جديد. ولكن هناك فرق بين النضج والطفولة - الطفل لا بد أن يُفسَد من قبل المجتمع في أول مرحلة من حياته، ولكن في مرحلة لاحقة من الحياة، عندما تسترد طفولتك مجددًا لن

يتمكن أحد من إفسادك. ستصبح ذكيًا وغير قابل للإفساد - فأنت الآن تعرف ما فعل بك المجتمع، وأنت في أتم الوعي واليقظة، ولن تسمح بتكرار ما حصل.

والنضج هو ولادة جديدة، هو ولادة روحية. أنت طفل مجددًا، تنظر إلى الوجود بعينين صافيتين، وتقارب الحياة بقلب محب. وبصمتك وبراءتك تخترق أعمق المراكز في داخلك. ولم يعد الرأس يتحكم بك، فأنت تستخدمه الآن، وهو خادمك. تصبح القلب أولاً، ثم تسمو فوقه.

والنضج هو أن نسمو فوق أفكارنا ومشاعرنا ونصبح ذاتًا خالصة. والنضج هو بلوغ مرحلة التأمل المطلقة.

يقول السيد المسيح ما معناه: إذا لم تولد مجددًا لن تدخل إلى مملكة الله. إنه محق، يجب أن تولد مجددًا.

كان المسيح مارًا بأحد الأسواق فسأله أحدهم: «من يستحق الدخول إلى مملكة الله؟» نظر المسيح حوله، وكان بين الجمع حاخام بدأ يقترب منه ظنًا منه أنه سيكون مَن سيختاره - ولكنه لم يختره. كان هناك أيضًا أفضل أهالي القرية، الواعظ الأخلاقي المتزمت، الذي تقدّم نحو المسيح قليلاً على أمل أن يختاره، ولكنه لم يختره. نظر المسيح حوله فرأى طفلاً لم يتوقع اختياره، ولم يتحرك قيد أنملة.

لم يخطر بباله أبدًا أن المسيح سيختاره، وكان فقط يستمتع بمشهد الجمع والمسيح وهم يتحادثون. نادى المسيح الطفل وحمله بين ذراعيه وخاطب الجمع قائلاً: «أولئك الذين هم مثل هذا الطفل، هم فقط الذين يستحقون الدخول إلى مملكة الله».

ولكن تذكّر أن المسيح قال: «أولئك الذين مثل هذا الطفل....» ولم يقل: «أولئك الأطفال». هناك فرق كبير بين الاثنين. لم يقل: «هذا الطفل سيدخل مملكة الله»، لأنه لا بد للطفل أن يُفسد من قِبل المجتمع، ولا بد أن يضلّ الطريق. لا بد لكل رجل وامرأة أن يطردوا

من جنة عدن، لا بد أن يضلّوا الطريق. إنها الطريقة الوحيدة لاستعادة الطفولة الحقيقية: أولاً يجب أن تفقدها. وهذا أمر غريب ولكن هكذا هي الحياة، مليئة بالتناقضات. ولكي تعرف جمال طفولتك الحقيقي، يجب أن تفقدها أولاً، وإلا لن تعرف ذلك أبدًا.

إن السمكة لا تعرف أين المحيط ـ إلا إذا أخرجتها من المحيط ورميتها في الشمس الحارقة؛ عندها ستعرف أين المحيط. إنها الآن تتوق إلى المحيط، وتبذل كل جهدها للعودة إلى المحيط، ثم تقفز في المحيط. إنها نفس السمكة ولكنها سمكة مختلفة مع ذلك؛ إنه نفس المحيط ولكنه محيط مختلف مع ذلك، لأن السمكة تعلّمت درسًا جديدًا. إنها واعية الآن، وهي تعرف أن «هذا هو المحيط وهذه حياتي، ولا وجود لي من دون المحيط - أنا جزء منه».

على كل طفل أن يفقد براءته ويستردها. والفقدان هو نصف العملية فقط ـ كثيرون فقدوا براءتهم، ولكن قليلاً منهم استردوها. ولسوء الحظ، إن كلاً منا يفقد براءته، ولكن نادرًا ما نرى أشخاصًا يستردونها. في اللحظة التي تدرك فيها أنه عندما تكون جزءًا من أي مجتمع، أو أية ثقافة، فهذا يعني أن تكون في حالة شقاء دائم، وفي سجن دائم ـ في هذه اللحظة بالذات تبدأ بالتخلص من قيودك. أنت في طريقك إلى النضوج، أنت تسترد براءتك.

النضج والتقدم في السن

هناك فرق كبير بين النضج والتقدم في السن، والناس تخلط دائمًا بين الاثنين. يعتقد الناس أن من يشيخ يصبح ناضجًا. ولكن الشيخوخة لها علاقة بالجسد فقط. كل إنسان يشيخ، وكل الناس قد يصبحون مسنين ولكن ليس بالضرورة ناضجين. ذلك أن النضج هو نمو داخلي.

الشـــيخوخة ليســـت شـيئًا تفعلـه، ولكنـها شـيء يحصـل لجسدك. كل طفل يولد سيشيخ مع مرور الزمن. والنضج هو شيء تدخله في حياتك، وهو ينتج عن الوعي. وعندما يشـــيخ الإنســان وهـو فـي كـامل وعيـه، يصـبح ناضـجًا. والشيخوخة ومعها الوعي، والخبرات ومعها الوعي، تؤدي إلى النضج.

يمكنك أن تختبر الأشياء بطريقتين. يمكنك أن تختبرها وأنـت فـي حالـة نـوم مغنطيسـي، لا تعـي مـا يحصـل لـك، فتحصل الأمور وأنت غائب عن الوجود. وهكذا تمر مرور الكرام ولا تسمح لأي شيء أن يترك أي أثر عليك، فلا تتعلم أي شـيء ممـا يحصـل لـك. وقد تنطبـع هـذه الأشـياء فـي ذاكرتك لأنك كنت حاضرًا جسديًا، ولكنها لن تصبح جزءًا من حكمتك لأنك لم تعش من خلالها. وفي هذه الحالة، أنت تشيخ.

ولكنـــك إذا أدخلـــت الوعـــي إلـــى تجـــاربك، ســـتؤدي هـــذه التجارب نفسها إلى النضج.

هناك طريقتان للعيش: الأولى أن تعيش في سُبات عميق - عندها تشيخ، وكل لحظة تمر تقرّبك من الموت. وحياتك عندئذٍ لا تتعدى أن تكون موتًا بطيئًا طويل الأمد. ولكن إذا أدخلت الوعي إلى خبراتك، فأنت تعي كل ما تفعله وكل ما يحصل لك، وأنت تراقب كل شيء بذكاء وتمعّن، وتعيش تجـاربك بكـل أبعـادها وتحـاول أن تفـهم معانيـها، وأنـت تحاول أيضًا أن تغوص في أعماق تجاربك وتعيشها بكل مشاعرك وكامل وعيك - عندها تتعدى حياتك كونها ظاهرة سطحية. لقد غيّرت هذه الخبرات أمورًا كثيرة في أعماقك. وأصبحت أكثر وعيًا. وإذا كانت تجربتك خاطئة، فإنك لن تمر بها مجددًا.

إن الشخص الناضج لا يرتكب نفس الخطأ مجددًا. ولكن الشخص الذي شاخ فقط، يرتكب نفس الخطأ مرارًا عديدة. إنه يعيش في حلقة مفرغة، لا يتعلم أي شيء. كان غاضبًا بالأمس وقبل الأمس، وهو غاضب هذا اليوم، وغدًا وبعد غـد سـيكون غاضـبًا. سـيغضب لفتـرة مـا ثـم يتـوقف عـن الغضب لفترة أخرى. يقرر أنه لن يغضب مجددًا ولكنه لا

ينفّذ قراره - وعندما تكون مشوّشًا، يتملكك الغضب وتكرر نفس الأخطاء مرات عديدة. وفي هذه الحالة أنت تشيخ.

إذا عشت تجربة الغضب بكلّيتها، لن تغضب مجددًا. وستكون تجربة واحدة كافية لتتعلم أن الغضب هو تصرّف أحمق وسخيف - هو ليس خطيئة ولكنه حماقة فقط. وأنت تضر بنفسك وبالآخرين مقابل لاشيء. وعندما تعيش هذه التجربة بوعيك الكامل، تصبح ناضجًا. وستتكرر الوضعية غدًا ولكنك لن تغضب. وأن تقرر أنك لن تغضب مجددًا ليس دليل نضج. بل هو على العكس دليل عدم النضج. والرجل الناضج لا يقرر ما سيفعله في المستقبل، فعملية النضج بحد ذاتها تتولى هذا الأمر. أنت تعيش يومك هذا - وعيشك لهذا اليوم سيقرر ما سيكون عليه الغد؛ وما سينبثق منه الغد.

إذا كانت تجربة الغضب مؤلمة وسامة، وقد عانيت الأمرّين منها، فما هو المغزى في أن تقطع عهدًا على نفسك وتذهب إلى المعبد وتصرّح: «أنا الآن أقطع عهدًا أنني لن أغضب مجددًا»؟ هذا تصرّف طفولي، لا فائدة منه! إذا عرفت أن الغضب سام، انتهى الأمر! لقد أقفل الباب على هذه الطريقة بالنسبة لك. وقد تتكرر الوضعية غدًا ولكن لن يتملكك الغضب، لأنك فهمت الوضع بوعي كامل. وقد تضحك وتتمتع برؤية الناس يتصرفون بحماقة، ولكن نضجك ينمو من خلال كل تجربة.

يمكنك أن تعيش حياتك وأنت في حالة نوم مغنطيسي - 99% من الناس يعيشون هذه الحالة - أو تعيشها بحماس ووعي. إذا عشتها بوعي فأنت ناضج؛ وعدا ذلك، أنت تشيخ. وأن تشيخ لا يعني أنك تصبح حكيمًا. لأنك إذا كنت أحمق في شبابك وأصبحت رجلاً مسنًا الآن، ستكون رجلاً مسنًا أحمق، وهذا كل ما في الأمر. لا يمكنك أن تصبح حكيمًا لمجرد تقدمك في السن. ربما تصبح أكثر حماقة، لأنك تمسّكت بعادات آلية.

يمكـن أن تعـيش الحيـاة بطـريقتين. إذا عشـت فـي حالـة لاوعـي فـإنك سـتموت فقـط؛ وإذا عشـت فـي حالـة وعـي ستحصل على مزيد من الحياة. الموت آتٍ - ولكنه لا يأتي أبدًا إلى الرجل الناضج، إنه يأتي فقط إلى الرجل الذي يتقدم بالسن ويشيخ. أما الرجل الناضج فلا يموت، لأنه يتعلم حتى من خلال الموت. حتى الموت، سيكون تجربة يرحّب بها، يراقبها، ويعيشها.

الرجل الناضج لا يموت. والواقع أن الموت ينتحر ويتحطم على صخرة النضج. يموت الموت، ولكن الرجل الناضج لا يموت أبدًا. هذه هي رسالة الذين عاشوا حياة وعي ويقظة. لقد عرفوا وعاشوا تجربة الموت. لقد راقبوا الموت ووجدوا أن بإمكانه أن يحيط بك ولكنك تبقى بعيدًا ولا تكترث به. يحصل الموت بالقرب منك ولكنه لا يحصل لك.

إن وجودك الأبدي، وجودك المفرح، وجودك الإلهي، يمثل تجارب لا يمكنك أن تحشرها في عقلك وذاكرتك. يجب أن تعيش الحياة وتتوصل إليها. ولكن هناك كثير من الألم والعذاب في الحياة. وبسبب الألم والعذاب، يلجأ الناس للعيش بطريقة حمقاء - يجب أن نفهم لماذا يصرّ الكثير من الناس على العيش في حالة نوم مغنطيسي. لا بد أن يكون هناك مصلحة كبيرة للناس في العيش بحالة النوم المغنطيسي. ما هي هذه المصلحة؟

يجب أن تفهم كيف تحصل الأمور؛ وإلا فإنك ستصغي إلي من غير أن تصبح واعيًا. سوف تصغي وتجعل معرفتي جزءًا من معرفتك، بمعنى أنك ستقول: «نعم، يقول لنا هذا الشخص أن نكون واعين وهذا أمر جيد، وأن من يصل إلى حالة الوعي يصبح ناضجًا...» ولكنك لن تصل إلى حالة الوعي بهذه الطريقة، هذه فقط معرفة. بإمكانك أن توصِل المعرفة إلى الآخرين، ولكنك لن تساعد أحدًا بهذه الطريقة.

لماذا؟ هل سبق أن تساءلت: لماذا لا أصل إلى حالة الوعي؟ إذا كانت تقود إلى السعادة اللامتناهية والحقيقة المطلقة، فلماذا لا أكون واعيًا؟ لماذا أصرّ على أن أكون بحالة نوم عميق؟ هناك سبب لذلك، والسبب

هو التالي: إذا أصبحت واعيـًا سـيكون هنـاك معـاناة. إذا أصـبحت واعيـًا سـتصبح واعيًا للألم، والألم هو أكثر مما بإمكانك تحمّله، ولذلك ترغب بتناول بعض الحبوب المهدئة لتساعدك على الشعور بالنعاس.

حالة النعاس هذه تعمل كحماية ضد الألم. ولكن هنا تكمن المشكلة - إذا خف شعورك بالألم، سيخف شعورك باللذة. تخيّل أن هناك حنفيّتين: كُتب على إحداهما «ألم» وعلى الأخرى «لذة». وأنت تريد أن تقفل حنفية الألم وأن تفتح حنفية اللذة. ولكن إليك ما سيحصل: إذا أقفلت حنفية الألم ستُقفل حنفية اللذة فورًا، لأنهما متصلتان بحنفية واحدة كتـــب عليـــها «الوعـــي». إمـــا أن تبقيـــا مقفلتـــين معـًا أو مفتوحتـين معـًا، لأنـهما وجـهان لظـاهرة واحـدة. وهـذا هـو التنـــاقض فـــي العقـــل: يـــرغب العقـــل بـــأن يكـــون ســـعيدًا - والسعادة ممكنة إذا كنت واعيًا. والعقل يرغب بأن لا يشعر بالألم قدر الإمكان ـ ولكن عدم الشعور بالألم غير ممكن إلا إذا كنت في حالة لاوعي. والآن أنت في مأزق. إذا أردت أن تتحاشـــى الألـــم، ســـتغيب اللـــذة عـن حيـاتك وتغـيب معـها السعادة. وإذا أردت أن تحصل على اللذة، تفتح الحنفية ـ ولكـــن يتـــدفق الألـــم فـــورًا أيضـًا. إذا كنـت واعيـًا، سـيشمل وعيك الاثنين. الحياة هي لذة وألم. هي سعادة وشقاء. هي ليل ونهار. الحياة هي حياة وموت. ويجب أن تكون واعيًا لكليهما.

إذًا تـــذكّر، إذا كنـــت تخشـــى الألـــم ســـتبقى فـــي حالـــة نـوم مغنطيسي؛ سوف تشيخ، تصبح مُسنًا وتموت. لقد فاتتك فرصة الحياة. إذا أردت أن تكون واعيًا، سيشمل وعيك الألم واللذة على حد سواء؛ ومن يصبح في حالة وعي، يمكنه أن يشعر بسعادة عارمة، ولكن في المقابل عليه أن يتحمل الشقاء الذي يترافق مع السعادة في الحياة.

هذه حادثة حصلت: عندما مات أحد معلمي الزن أخذ أحد تلامذته - الذي كان مشهورًا بحد ذاته، وربما كان أكثر شهرة من معلمه لأن معلمه أصبح مشهورًا بسببه - يبكي وهو جالس على أدراج المعبد، وراحت الدموع تنهمر من عينيه. كـــان هنـــاك آلاف المحتشـــدين الـــذين لـــم

يصـدقوا مـا رأت أعينهم لأنهم لم يتعودوا رؤية رجل متيقظ يبكي وتنهمر الدموع من عينيه. قال بعضهم: «نحن لا نصدق ذلك ـ ماذا يجري؟ أتبكي وأنت من قال لنا إن الكائن الداخلي لا يموت، وإنه لا وجود للموت. إذًا لمَ تبكي؟ معلمك لا يزال حيًا في وجوده».

فتـح التلميـذ عينيـه وقـال: «لا تزعجونـي، دعونـي أبكـي وانتحب. أنا لا أبكي على المعلم ووجوده، أنا أبكي على جسده. لقد كان جسده جميلاً، ولقد غاب عن الوجود».

بعـد ذلـك حـاول أحد الحضـور إقناعـه أن البكـاء سـيشوّه سمعته: «هناك حشد كبير من الناس وسيعتقدون أنك لست متنوّرًا».

أجاب التلميذ: «دعهم يعتقدون ما يحلو لهم. منذ اليوم الـذي أصـبحت فيـه متنـوّرًا، أصـبحت فـي غايـة السـعادة، ولكنني أصبحت في نفس الوقت مرهف الإحساس حيال الألم والمعاناة».

يبدو الأمر كما ينبغي أن يكون. إذا تلقى بوذا ضربة منك، سـيشعر بـالوجع أكثـر منـك لـو تلقـيت ضـربة مـن أحـد الأشخاص - لأنه أصبح مرهف الإحساس. أصبح إحساسه في غاية الرقة كزهرة اللوتس. إذا رشقته بحجر سيشعر بـألم عمـيق. ولا شـك أنـه سيكون واعيًا للألـم، ولكنـه لـن يكترث به. وبالطبع سيسمو على أحاسيسه، وسيعرف أنه يشـعر بـها ولكنـه لـيس جزءًا منـها - هـو غـيم يحـيط بـهذه الأحاسيس.

إذا لم تكن حسّاسًا حيال الألم، فأنت في حالة نعاس. أنت تترنح كالسكّير - والسكّير يقع أرضًا في الشارع، يصدم رأسه بحافة الطريق، ولكنه لا يشعر بالألم. ولو كان واعيًا لشعر بالألم.

بوذا يتألم للغاية ويفرح للغاية. تذكر دائمًا أنك عندما تبلغ أعلى القمة، يُخلق وادٍ عميق في نفس الوقت. وإذا أردت أن تبلغ الجنة، يجب أن تصل جذورك إلى أعماق الجحيم. وبما أنك تخشى الألم فلن يكون بإمكانك أن تصبح واعيًا وبالتالي لن تتعلم أي شيء. الحالة تتشابه عندما

تخشى أعداءك وتوصد أبواب منزلك. عندها لا يمكن الدخول حتى للصديق. إنه يستمر في قرع الباب ولكنك خائف وتظنه العدو. وهكذا تكون منغلقًا على نفسك - وكذلك أرى الجميع، منغلقين، خائفين من العدو، ولا يمكّنون الصديق من الدخول.

افتح الباب. عندما يدخل الهواء النقي، هناك احتمال أن يدخل الخطر معه. وعندما يدخل الصديق، قد يدخل معه العدو لأن الليل والنهار يدخلان معًا، والألم واللذة يدخلان معًا، والحياة والموت يدخلان معًا. لا تخشَ الألم وإلا عشت حياتك في حالة خدر. إن الجرّاح يحقنك ببعض المخدر قبل أن يجري لك عملية جراحية لأنه يعلم أنك من دون مخدر ستعاني ألمًا لا يمكنك تحمّله. وعليه أن يخفض وعيك إلى أقصى درجة ممكنة ليتمكن من إجراء العملية دون أن تشعر بألم.

وبسبب خوفك من الألم، فرضت على نفسك حياة تدنّى فيها مستوى الوعي إلى أقصى الدرجات، حتى أنك لم تعد حيًا تقريبًا - وهذا هو الخوف. يجب أن تتخلص من هذا الخوف، ويجب أن تواجه الألم، ويجب أن تعيش من خلال المعاناة - وعند ذلك فقط يصبح بإمكان الصديق أن يدخل.

عندما تعرف الاثنين، عندما تعرف الازدواجية - الألم واللذة، الليل والنهار - عندها تصبح ترنسنداليًا (تسمو فوق أفكارك ومشاعرك) Transcendental.

الشي الجوهري الذي يجب أن نتذكره هو أن الحياة جدلية. ومبدأ الازدواجية هو جوهر وجودها، وهو تعايش الأضداد. لا يمكنك أن تبقى سعيدًا إلى الأبد، وإلا فقدت السعادة معناها. ولا يمكنك أن تبقى في حالة انسجام إلى الأبد، وإلا زالت حالة الوعي بالانسجام. يجب أن تلي حالة الانسجام حالة تنافر ويجب أن تلي السعادة حالة شقاء. كل لذة تحمل في طياتها بعض الألم وكل ألم يحمل في طياته بعض اللذة.

إذا لم نفهم ازدواجية الوجود هذه، نبقى في حالة شقاء لا مبرر لها.

تقبّل الكل بآلامه المبرحة وأفراحه البهيجة. لا تصبُ إلى المستحيل؛ لا تأمل أن تكون هناك سعادة من غير شقاء. فالسعادة لا يمكن أن توجد بمفردها، وهي بحاجة لنقيض. وعندما يُشكّل الشقاء خلفية السعادة، تصبح السعادة أكثر تشويقًا وألذ طعمًا، مثلما تجعل ظلمة الليل النجوم أكثر تألقًا وإشعاعًا. في النهار لا تختفي النجوم، وإنما تصبح غير مرئية فقط، ولا يمكنك رؤيتها لعدم وجود خلفية مغايرة.

فكّر بالحياة من دون موت، إنها تصبح ألمًا مبرحًا، وجودًا لا يطاق. لا يمكن تَصوُّر الحياة من دون موت - إن الموت يحدد الحياة، ويجعلنا نعيشها بحماس وحيوية. وبما أن الحياة سريعة الزوال، تصبح كل لحظة منها ثمينة. ولو كانت الحياة أبدية، لما اكترثنا بأية لحظة. يمكننا أن ننتظر الغد إلى الأبد، ومن سيعيش اللحظة الآنية بعد ذلك؟ بما أن الموت ينتظرك في الغد فإنه يجبرك أن تعيش اللحظة الآنية. ويجب أن تغوص في أعماق اللحظة الحالية لأنك لا تدري متى ستحين المنيّة. اللحظة التالية قد تأتي أو لا تأتي.

عندما نرى هذا الإيقاع المزدوج، نشعر بالارتياح حيال النقيضين. إذا حلّت السعادة نرحّب بها، وإذا حلّ الشقاء نرحّب به، فنحن نعلم أنهما شريكان في لعبة واحدة، وجهان لظاهرة واحدة. إذا تذكرت ذلك على الدوام، تتحلى حياتك بنكهة خاصة ـ نكهة الحرية، نكهة عدم التعلق وعدم الإدمان. ومهما جلبت لك الحياة، تبقى ثابتًا، صامتًا، ومتقبلاً.

والشخص الذي بإمكانه أن يكون ثابتًا، وصامتًا، ومتقبلاً للألم، والإحباط، والشقاء، يغيّر طبيعة الشقاء. يصبح الشقاء ثروة بالنسبة له؛ والألم يزيد من حدة إحساسه والظلمة تكتسب جمالها الخاص، جمال العمق واللانهاية.

حتى الموت لا يكون بالنسبة له نهاية الطريق، بل بداية شيء مجهول.

النضج الروحي

إن خصائص الشخص الناضج هي في منتهى الغرابة. أولاً، هو ليس بشخص. لم يعد كائنًا الآن - له حضور، ولكنه ليس بشخص.

ثانيًا، إنه يشبه الطفل ببساطته وبراءته. يكسبه النضج مظهر شخص واسع الخبرة ومتقدم في السن. ولهذا السبب قلت إن خصائصه غريبة - قد يكون متقدمًا في السن جسديًا، ولكنه طفل بريء روحيًا. وخبرته ليست مكتسبة من الحياة، وإلا لما كان يشبه الطفل، ولما كان له حضور، ولكان شخصًا واسع الخبرة والمعرفة وليس ناضجًا.

لا علاقة للنضج بخبرات الحياة. النضج هو نتاج الخبرات الباطنية.

كلما توجه الإنسان نحو أعماقه الداخلية، ازداد نضجه. وعندما يبلغ المركز الأساسي لوجوده، يصبح في غاية النضج. ولكن في هذه اللحظة يختفي الشخص ويبقى الحضور فقط. تختفي الذات ويبقى الصمت فحسب. تزول المعرفة ويبقى الصمت.

بالنسبة لي، النضج هو تسمية أخرى لتحقيق الذات: لقد حققت إمكاناتك، لقد حوّلتها إلى واقع. والبزرة التي زرعتها أزهرت بعد رحلة طويلة.

للنضج عبيره الخاص. إنه يعطي صاحبه جمالاً يفوق الوصف، ويمنحه ذكاءً لا يُعلى عليه، ويُحوّله إلى حب خالص. يفيض الحب في تحركه أو سكونه، في حياته أو مماته. يصبح زهرة حُبّ فحسب.

يتبنّى الغرب تعريفًا سخيفًا للنضج. يعني الغرب بالنضج أنك لم تعد بريئًا، وأنك نضجت من خلال تجاربك في الحياة، وأنه لم يعد بالإمكان خداعك أو استغلالك، وأنك أصبحت صلبًا كالصخرة، لا تهزك العواصف. هذا التعريف عادي ودنيوي. نعم، ستجد أشخاصًا يتحلّون بهذا النوع من النضج في العالم. ولكنني أنظر إلى النضج من زاوية مختلفة كليًا، من زاوية معاكسة لهذا التعريف. والنضج

الذي أتكلم عنه لا يحوّلك إلى صخرة، بل يجعلك رقيقًا، بسيطًا، وغير محصّن.

دعوني أخبركم هذه القصة... دخل أحد اللصوص كوخ أحد الصوفيين. كانت ليلة مقمرة ولا بد أنه دخل عن طريق الخطأ، فليس هناك ما يسرقه في كوخ الصوفي. نظر اللص في جميع زوايا الكوخ فلم يجد أي شيء ليسرقه - فجأة رأى رجلاً قادمًا وفي يده شمعة. قال له الرجل: «عَمّ تبحث في هذه الظلمة؟ لماذا لم توقظني؟ كنت نائمًا قرب الباب الأمامي وكان بإمكاني أن أريك كل زوايا الكوخ». كانت تبدو على وجهه البساطة والبراءة وكأنه لا يستطيع تصوّر أن يلجأ أي إنسان إلى السرقة.

بعد أن رأى السارق البراءة والبساطة في وجه الرجل قال له: «ربما كنت لا تدري أنني لص؟».

قال الصوفي: «لا أهمية لذلك، يجب أن يكون لكل شخص مهنة معينة. لقد سكنت في هذا الكوخ لمدة ثلاثين سنة ولم أجد فيه أي شيء، دعنا نبحث سوية! وإذا وجدنا أي شيء نتقاسمه. أنا شخصيًا لم أجد أي شيء في هذا الكوخ». شعر اللص ببعض الخوف - ذلك أن تصرفات الرجل تدل على أنه غريب الأطوار! وقد يكون مجنونًا... مَن يدري ما هو؟ أراد اللص أن يهرب، وكان قد سرق بعض الأشياء من منزلين مجاورين وتركهما خارج الكوخ.

كان الصوفي يملك حرامًا واحدًا - وهذا كل ما يملكه ـ وكانت ليلة قاسية البرد، فقال للص: «لا تغادر بهذه الطريقة، لا تُهن كرامتي على هذا النحو؛ وإلا لن أتمكن من الصفح عن نفسي لأن شخصًا فقيرًا دخل منزلي في منتصف الليل وغادره صفر اليدين. خذ هذا الحرام. ستفيد منه كثيرًا ـ الجو شديد البرودة في الخارج. وأنا في داخل الكوخ حيث الجو أكثر دفًا».

غطى الصوفي اللص بحرامه وكان اللص على وشك أن يفقد صوابه فقال: «ماذا تفعل؟ أنا لص!».

قال الصوفي: «لا أهمية لذلك. يجب أن يكون لكل شخص مهنة معينة. أنت تمتهن السرقة، لا فرق في ذلك ـ المهنة هي مهنة. قم بعملك المهني على أكمل وجه وسوف تحصل على بركتي الكاملة. قم بعملك بإتقان، تفادَ أن يُقبض عليك؛ وإلا وقعت في ورطة».

قال السارق: «أنت غريب الأطوار، أنت عارٍ، لا ترتدي أية ملابس...».

قال الصوفي: «لا تقلق لأنني سأرافقك! الحرام هو الشيء الوحيد الذي كان يبقيني في هذا الكوخ. لا يوجد أي شيء آخر هنا. والآن لقد أعطيتك هذا الحرام. أنا ذاهب معك - سنعيش معًا! ويبدو أنك تملك الكثير من الأشياء؛ إنها شراكة جيدة. لقد أعطيتك كل ما أملك، وبإمكانك أن تعطيني جزءًا بسيطًا مما تملك - وهذا تبادل عادل».

لم يصدق اللص ما كان يسمعه. وكل ما كان يريده هو الهرب من ذاك المكان ومن ذاك الرجل. قال: «لا، لا يمكنني أن أصطحبك معي. أنا متزوج ولدي أطفال. وجيراني، ماذا سيقولون إذا أحضرت رجلاً عاريًا إلى منزلي...؟».

قال الصوفي: «هذا صحيح. أنا لن أضعك في موقف محرج. يمكنك الذهاب، سأبقى في هذا الكوخ». وعندما هَمّ اللص بمغادرة الكوخ، صرخ فيه الصوفي: «ماذا تفعل! عد أدراجك!». لم يسمع اللص صوتًا بهذه القوة قبل ذلك؛ حل به الصوت كالصاعقة، ولم يكن بإمكانه سوى العودة. قال الصوفي: «تعلّم بعض اللياقات الاجتماعية. لقد أعطيتك الحرام ولم تشكرني. إذًا اشكرني أولاً - وسوف يعود ذلك عليك بالفائدة. ثانيًا، عندما دخلت الكوخ، فتحت الباب، إذًا كان يتوجب عليك أن تغلق الباب وأنت تغادر الكوخ. ألا ترى أن الطقس في غاية البرودة وأنا عار لأنني أعطيتك الحرام الوحيد الذي أملكه؟ لا يزعجني أن تكون

لصًا، ولكن عندما يتعلق الأمر باللياقات الاجتماعية، لا يمكنني أن أكون متساهلاً. أنا لا أسمح بهذا التصرف. قل شكرًا».

قال اللص: «شكرًا يا سيدي» ثم أغلق الباب وغادر هاربًا. لم يصدق ما حصل له! ولم يتمكن من النوم طوال الليل. كان يتذكر باستمرار أنه لم يسمع صوتًا بهذه الحدة والقوة من قبل.

قام بالاستقصاء في اليوم التالي وتبيّن له أن هذا الرجل هو من المعلّمين العظماء. لم يكن يملك أي شيء ولكنه كان معلّمًا عظيمًا.

قال اللص: «أنا أفهم أن يكون هذا الرجل غريب الأطوار. لقد صادفت في حياتي جميع أنواع البشر ولكنني لم أشعر أبدًا بالشيء الذي شعرت به عندما صرخ بي وطلب مني العودة، لم أتمكن من الهرب. حتى عندما أتذكر ذلك أشعر برعشة تسري في جسمي. لقد كنت بكامل حريتي، وكان بإمكاني أن أحمل المسروقات وأغادر الكوخ ولكنني لم أستطع ذلك. كان في صوته شيء أجبرني على العودة».

بعد أشهر قليلة قُبض على اللص وأحضر إلى المحكمة. سأله القاضي: «هل يمكنك أن تسمّي أي شخص يعرفك في هذه المنطقة؟».

أجاب اللص: «نعم، هناك شخص واحد يعرفني». وأعطى اسم المعلم الصوفي.

قال القاضي: «هذا يكفي - استدع المعلم الصوفي. شهادته تساوي شهادة عشرة آلاف شخص. ما يقوله عنك سيكون كافيًا لإصدار حكم بحقك».

سأل القاضي المعلم: «هل تعرف هذا الرجل؟».

أجاب: «هل أعرفه؟ إننا شركاء! إنه صديقي. حتى أنه زارني مرة في منتصف الليل. كان الطقس باردًا فأعطيته حِرامي. وهو يرتديه الآن كما ترى. هذا الحرام مشهور في كل البلاد، ويعرف الجميع أنه خاصتي».

قال القاضي: «إنه صديقك، ولكن هل يحترف السرقة؟».

قال المعلم: «أبدًا، لا يمكنه السرقة أبدًا. إنه رجل خلوق ومهذب ولقد شكرني عندما أعطيته الحرام. وعندما غادر منزلي، أغلق الباب بهدوء. إنه رجل لطيف ومهذب».

قال القاضي: «استنادًا إلى ما تقوله، سألغي شهادات جميع الأشخاص الذين قالوا إنه لص. إنه حر، أنا أطلق سراحه».

غادر الصوفي المحكمة وتبعه اللص.

قال الصوفي: «ماذا تفعل؟ لماذا ترافقني؟».

قال اللص: «الآن لا يمكنني أن أتخلى عنك. لقد قلت إنني صديقك وشريكك. لم يعاملني أي شخص باحترام من قبل. وأنت أول شخص يقول إنني رجل مهذب ولطيف. سأجلس عند قدميك وأتعلم كيف أصبح مثلك. كيف توصّلت إلى كل هذا النضج، والقوة، وكيف تمكّنت من رؤية الأمور بطريقة مختلفة كليًا؟».

قال الصوفي: «هل تعلم كيف كان شعوري تلك الليلة؟ كانت ليلة قارسة البرودة، وكان النوم مستحيلاً من دون حرام. كنت جالسًا قرب النافذة أراقب القمر المكتمل، ولقد كتبت قصيدة شعرية: لو كنت ثريًا لكنت أهديت هذا القمر المكتمل لهذا الرجل المسكين، الذي جاء في الظلمة ليبحث عن شيء في منزل رجل فقير. لكنت أعطيته هذا القمر لو كنت ثريًا، ولكني فقير. سوف أريك القصيدة بكاملها، رافقني».

تابع الصوفي قائلاً: «لقد بكيت تلك الليلة، وأملت أن يتعلم اللصوص بعض الأمور ـ أن عليهم أن يُعلمونا بما ينوون القيام به قبل يوم أو يومين، حتى يتمكن شخص مثلي أن يحضر لهم شيئًا فلا يغادرون صفر اليدين. ومن حُسن الصدف أنك تذكرتني في المحكمة، فقد كان من الممكن أن يسيئوا معاملتك. لقد عرضت عليك في تلك الليلة أن أذهب معك ونصبح شركاء ولكنك رفضت العرض. والآن تريد ان ترافقني! لا مشكلة في ذلك، يمكنك مرافقتي؛ سوف أشاركك بكل

ما لدي. ولكنني لا أملك أشياء مادية، والأشياء التي أملكها لا يمكنك رؤيتها».

قال اللص: «لقد ساورني هذا الشعور - إنها أشياء غير مرئية. ولكنك أنقذت حياتي، والآن حياتي ملك لك. افعل بها ما تشاء، كنت أضيّعها على أي حال. بعد أن رأيتك، نظرت في عينيك، وأصبحت واثقًا من شيء واحد - أن بإمكانك أن تحوّلني. لقد غمر الحب قلبي منذ تلك الليلة».

بالنسبة لي، النضج هو ظاهرة روحية.

النضج الروحي يلامس سماءك الداخلية. عندما تستقر في سمائك الداخلية، تكون قد وجدت مسكنًا، ويتجلى النضج في أفعالك وسلوكك. عندها يتحلّى كل ما تفعله بالرقة. وكل ما تفعله هو شعر قائم بذاته. يصبح كلامك شعرًا، ووقع أقدامك رقصًا، وصمتك موسيقى.

النضج يعني أنك أتيت إلى مسكنك. ولم تعد طفلاً بحاجة لأن ينمو. لقد نضجت، وحققت أقصى إمكاناتك. لقد حصل تغيُّر كامل. وأنت لم تعد أسير أفكارك وتخيلاتك القديمة، ولم تعد أسير رؤيتك القديمة لذاتك. لقد تغيّر كل ذلك. الآن ينبعث بداخلك شيء جديد ونقي يُحوّل حياتك بأكملها إلى فرح. لقد أصبحت غريبًا بالنسبة للعالم التعيس، لا تخلق التعاسة لنفسك أو لأي شخص آخر. وتعيش حياتك بحرية مطلقة، ولا تعير أهمية لما يقوله الآخرون.

إن الذين يعيرون أهمية كبيرة لما يقوله الآخرون هم أشخاص غير ناضجين. إنهم يعتمدون على رأي الآخرين، ولا يمكنهم أن يقوموا بأي عمل باستقلالية، ولا يمكنهم أن يعبّروا عن أفكارهم بصدق - يقولون ما يريد الآخرون سماعه. إن رجال السياسة يقولون الأشياء التي تريد سماعها، ويعطونك الوعود التي تتمنى تحقيقها، ويعرفون حق المعرفة أن ليس بإمكانهم تنفيذ هذه الوعود. ولكن ماذا ستكون النتيجة لو أخبروك بصدق وأمانة عن حقيقة الأحوال وقالوا لك

أن ليس بإمكانهم تنفيذ أغلب الأشياء التي تطالب بها؟ سوف يزاحون من السلطة من دون شك. وأنت لن تختار رجل سياسة صادقًا.

إنه عالم غريب. يُشبه مصحًّا عقليًا. وإذا تمكنت أن تصبح واعيًا لذاتك في هذا المصح العقلي، فأنت إنسان مبارك.

دورة الحياة السباعية
(سبع سنين)

الحيـاة تتبـع نمطًا معيّنًا مـن المفيـد فـهمه. ويقـول علمـاء الفزيولوجيـا إن العقـل والجسـم يتغـيران كـل سـبع سـنين. وكل سبع سنين تتغير جميع خلايا الجسم وتتجدد كليًا. وفي الواقع، إذا حييت سبعين عامًا - وهو متوسط عمر الإنســان - تتجـدد خلايـاك عشـر مـرات. وكـل سـبع سـنوات يتغيّر كل شيء. وخلال سبعين عامًا تكتمل الدورة في عشر مراحل.

وعلــى ذلــك يجــب أن لا تُقسّم حيـاة الإنسـان إلـى مرحلـة طفولة، ومرحلة شباب، ومرحلة شيخوخة. هذا غير علمي، لأن الإنسان يمر بمرحلة جديدة كل سبع سنين.

خــلال الســنين الســبع الأولــى يكـون الطفـل أنـانيًا وشـديد الانشغال بذاته، وكأنه مركز العالم بأكمله. فهو محور اهتمام العائلة بأكملها، ويجب إن تُلبّى حاجاته فورًا، وإلا تملّكته ثورات الغضب. إنه يعيش كالإمبراطور ـ الأم والأب دائمًا فــي خـدمته، ووظيفـة العائلـة بكاملـها هـي تلبيـة حاجاتـه. وشعوره هذا ينطبق على العالم بأكمله. يظهر القمر وتشرق الشمس من أجله، وتتغير الفصول من أجله أيضًا. إذًا، يبقى الطفل لمدة سبع سنوات أنانيًا ومنشغلاً بنفسه. وإذا سألت علماء النفس يقولون لك إن الطفل يشعر بالاكتفاء الذاتي طوال السنوات السبع الأولى، ولا يشعر بحاجة لأي شخص أو أي شيء.

بعد السنين السبع الأولى يحصل تغيّر هام. لم يعد الطفل منشغلاً بنفسه، ولم يعد يعتبر نفسه مركز العالم. لقد تبدّلت اهتماماته. وأصبح الآن يتجه نحو الآخرين، وأصبح الآخر مــركز الأهميــة بالنســبة لــه - الأصــدقاء، العصـابات، الفـرق الرياضية... لم يعد يهتم بنفسه الآن؛ إنه

يهتم بالآخرين، بالعالم الواسع. ويبدأ بالمغامرة ليعرف من هو هذا الآخر. يبدأ الاستكشاف.

بعد سبع سنين يصبح الطفل سائلاً بارعًا. يسأل عن كل شيء، وينزع إلى الشك لأن الأسئلة لا تفارقه. يطرح ملايين الأسئلة، ويضجر الأهل والأقارب ويصبح مصدر إزعاج. إنه يهتم بالأشخاص الآخرين وبكل شيء في هذا العالم. لماذا الأشجار خضراء؟ لماذا خلق الله الكون؟ تصبح أسئلته فلسفية تدريجيًا.

إنه يقتل فراشة ليرى ما بداخلها، ويفكك لعبة معيّنة ليرى كيف تعمل. يتحوّل اهتمامه إلى الآخر ـ ولكن الآخر يبقى من نفس الجنس. فهو غير مهتم بالفتيات. وإذا أظهر بعض الصبية اهتمامًا بالفتيات، يعتبرهم رفاقهم مخنثين. والفتيات لا تهتم بالصبيان. وإذا أبدت إحدى الفتيات اهتمامًا بالصبيان وشاركتهم ألعابهم، يدعونها صبيانية (غلامية)، أي أنها ليست طبيعية. ويقول علماء النفس وعلماء التحليل النفسي إن هذه المرحلة هي مرحلة الجنس المثلي Homosexuality.

بعد أربعة عشر عامًا ينفتح باب ثالث. يتضاءل اهتمام الفتيان بالفتيان واهتمام الفتيات بالفتيات. وهم يتعاطون مع أفراد جنسهم بتهذيب ولكن من غير اهتمام. لذلك نرى أن الصداقات التي تتكون بين عمر السبع سنوات والأربعة عشر سنة هي الأعمق والأكثر دوامًا ولن تتكون بعد ذلك صداقات مماثلة مدى العمر، والسبب يعود إلى أن العقل هو مثلي الجنس Homosexual. هؤلاء الأصدقاء يبقون أصدقاء مدى العمر. قد تتصرف بودّ مع بعض الناس في مراحل لاحقة من الحياة، ولكن تلك العلاقات تبقى في إطار المعرفة الشخصية ولن تصبح صداقات عميقة كما حصل بين سن السابعة والرابعة عشرة.

ولكن بعد سن الرابعة عشرة، إذا سارت الأمور بشكلها الطبيعي، يصبح الشاب أكثر اهتمامًا بالفتيات. لقد أصبح الآن متغاير

(غيري) الجنس Heterosexual - ليس مهتمًا بالآخرين فقط بل بالجنس الآخر.

السنة الرابعة عشرة هي سنة تحوّل هام. ينضج فيها الجنس، وتنمو المشاعر الجنسية، وتطغى التخيّلات الجنسية في الأحلام، ويبدأ الفتيان والفتيات بإقامة علاقات رومانسية.

بعد السنة الواحدة والعشرين، إذا سارت الأمور بشكلها الطبيعي، يصبح الشاب أكثر اهتمامًا بطموحاته الشخصية منه بالحب. فهو الآن يريد سيارة فخمة وقصرًا كبيرًا. يريد أن يكون ناجحًا، أن يكون روكفلر Rockefeller، أو رئيسًا للوزراء.

الآن، لا يدخل الشاب عالم الطبيعة فقط، بل يدخل عالم الإنسان، عالم الأسواق، عالم الجنون. يصبح السوق أول اهتماماته الآن. وجوده بأكمله يرتبط بالسوق - المال، والسلطة، والمكانة.

إذا سارت الأمور بشكلها الطبيعي ـ وهذا نادرًا ما يحصل - ففي نهاية السنة الثامنة والعشرين يتوقف الشاب عن خوض الحياة المغامرة. كانت المرحلة السابقة مرحلة المغامرة، أما الآن فقد أصبح مدركًا تمام الإدراك أنه لا يستطيع تحقيق كل رغباته. في سن الثامنة والعشرين يدخل الأشخاص الأذكياء بابًا آخر. تتلاشى فيهم الروح الثورية والهيبية، ويتحول اهتمامهم إلى الأمان والراحة بدلاً من الطموح والمغامرة. وكل ما يريدون هو حياة مريحة تحقق لهم الأمان والاطمئنان؛ حسابًا صغيرًا في البنك، ومنزلاً صغيرًا دافئًا يعيشون فيه. في سن الثامنة والعشرين يبدأ الناس بشراء بوليصات التامين، ويميلون إلى الاستقرار والتخلي عن حياة التشرد والارتحال. كل ما يريدونه الآن هو الراحة والاستقرار.

في سن الخامسة والثلاثين تبلغ طاقة الحياة ذروتها. إن الدورة هي في منتصف الطريق الآن وهنا تبدأ الطاقة بالانحطاط. والرجل ليس فقط في غاية الاهتمام بالراحة والأمان، وإنما أصبح تقليديًا

ومحافظًا في مواقفه. ولم يفقد اهتمامه بالثورة فقط بل أصبحت مواقفه مناهضة للثورة. إنه الآن ضد كل تغيير، وقد أصبح امتثاليًا. إنه ضد كل الثورات؛ ويريد المحافظة على الوضع الراهن لأنه استقر الآن، وإذا تغيّرت الأوضاع يخشى أن يتزعزع استقراره. وهو الآن يهاجم الهيبيين والثائرين؛ لقد أصبح جزءًا من النظام.

وهذا أمر طبيعي - إلا إذا سارت الأمور بشكل خاطئ. ولا نتوقع أن يبقى أي شخص في حالة ثورة وارتحال مدى العمر. كانت تلك مرحلة من المستحسن أن نمر بها ولكن من غير المستحسن أن نبقى عالقين بها. وأن يكون الإنسان مثلي الجنس Homosexual ما بين سن السابعة والرابعة عشرة هو أمر طبيعي ومستحسن، ولكن أن يبقى مثلي الجنس مدى الحياة فهو أمر غير طبيعي ويعني أنه لم ينضج، ولم يصبح راشدًا. يجب أن يقيم علاقة مع المرأة، فهذه سنّة الحياة. ويجب أن يتعرف إلى الجنس الآخر، لأنه عند ذلك فقط سيتمكن من معرفة تناغم الأضداد، والصراع، والعذاب، والنشوة - وهذا تدريب لا مفر منه.

في الخامسة والثلاثين، يصبح الإنسان جزءًا من العالم التقليدي. يبدأ بالإيمان بالعادات التقليدية، بالماضي، بالتعليمات الدينية. يصبح مناهضًا للتغيير بجميع أشكاله لأن أي تغيير قد يؤدي إلى زعزعة نمط حياته؛ لديه الآن الكثير مما يمكن خسارته. لذا لا يمكنه أن يساند الثورة؛ ويريد أن يحمي مصالحه بواسطة القانون، والمحاكم، والمؤسسات الحكومية. إنه يساند النظام، والقوانين، والسلطة.

عندما نبلغ سن الثانية والأربعين، يبدأ تفشي جميع الأمراض الجسدية والعقلية فينا لأن طاقتنا بدأت بالانحطاط وبدأنا نقترب من الموت. في البداية، عندما كانت طاقتك تتزايد يومًا بعد يوم، كنت تزداد قوة وحيوية - والآن تحصل العملية المضادة، تتضاءل طاقتك ويزداد ضعفك يومًا بعد يوم. ولكن عاداتك تدوم. كنت تتناول كمية معينة من الطعام حتى سن الخامسة والثلاثين، والآن إذا استمررت بتناول نفس كمية الطعام تصبح بدينًا. أنت لست

بحاجة لنفس كمية الطعام. وإذا دأبت على تناول نفس كمية الطعام، تصاب بجميع أنواع الأمراض: الضغط المرتفع، النوبات القلبية، القلق، القرحة - جميع هذه الأمراض تظهر قرابة سن الثانية والأربعين؛ ويبدأ الشعر بالتساقط، ويصبح رمادي اللون. الحياة تتوجه نحو الموت.

في سن الثانية والأربعين، يصبح للدين، وللمرة الأولى، أهمية كبرى في حياة الإنسان. ربما كنت قد أعطيت الشؤون الدينية بعض الاهتمام في السابق، ولكن الدين أصبح في غاية الأهمية بالنسبة لك الآن، لأن للدين علاقة وثيقة بالموت. الآن يقترب الموت، وتنبعث أول رغبة في الأمور الدينية.

لقد كتب كارل يونغ Carl Yung أنه لاحظ أن الأشخاص الذين يقصدونه في طلب العلاج النفسي والذين يقاربون الأربعين من العمر، هم دائمًا بحاجة إلى الدين. إذا أصبحوا مجانين - عصابيين أو ذُهانيين - لا يمكن مساعدتهم إلا إذا تعمقوا في الأمور الدينية. حاجتهم الأساسية هي الدين. وإذا كان المجتمع الذي تعيش فيه علمانيًا ولا يدرّس الدين، فإنك تواجه أكبر الصعوبات حوالي سن الثانية والأربعين، لأن المجتمع لم يفتح لك أي باب، أو أية طريق، وأية فسحة في هذا المجال.

كان المجتمع ملائمًا عندما كنت في سن الرابعة عشرة لأنه سمح لك بممارسة الجنس ـ والجنس يصبغ كل شيء في هذا المجتمع. وهو السلعة المتضمّنة في كل سلعة. إذا أردت أن تسوّق مبيع شاحنة نقل، تستخدم امرأة عارية، وإذا أردت أن تسوّق معجون أسنان تستخدم امرأة عارية أيضًا. معجون أسنان أو شاحنة، لا فرق، هناك دائمًا امرأة عارية تبتسم في الصورة. والحقيقة أن ما يباع هو المرأة. إن الشاحنة لم تبع، ومعجون الأسنان لم يبع - ولكن بما أن معجون الأسنان يأتي مع المرأة العارية، فأنت تشتريه أيضًا. الجنس يباع في كل مكان.

إذًا، هذا المجتمع، المجتمع العلماني، يناسب الشباب. ولكنهم لن يبقوا شبابًا مدى العمر. عندما يبلغون سن الثانية والأربعين، يتركهم

المجتمع في حالة ضياع. لا يدرون ماذا يفعلون. ويصبحون عُصابيين لأنهم لم يتلقوا أي تدريب لمواجهة الموت. لقد درّبهم المجتمع لمواجهة الحياة ولكنه لم يدربهم لمواجهة الموت. وهم بحاجة إلى ثقافة الموت كما هم بحاجة إلى ثقافة الحياة.

لو أعطِيتْ لي حرية التصرّف، لكنت قسّمت الجامعات إلى قسمين؛ قسم للشباب، وقسم آخر للمتقدمين في العمر. يأتي الشباب لتعلّم فن الحياة - الجنس، الطموح، الكفاح. وعندما يصبحون في الثانية والأربعين من العمر يعودون مجددًا إلى الجامعة ليتعلموا عن الموت، والله، والتأمل - لأن الجامعات التقليدية لن تفيدهم الآن. وهم بحاجة إلى نوع جديد من التدريب، ليتمكنوا من مواجهة المرحلة التي يمرون بها.

هذا المجتمع يتركهم في حالة ضياع؛ لذلك نرى تفشي الأمراض العقلية في الغرب. والوضع في الشرق مختلف، حيث نسبة الأمراض العقلية أقل بكثير من الغرب. لماذا؟ لأن الشرق لا يزال يقدم ثقافة دينية للناس. وبالرغم من كون هذه الثقافة خاطئة ومزيّفة، فهي لا تزال موجودة. موجودة في الزوايا وفي الأماكن البعيدة ولكن ليس في الساحات أوفي صلب الحياة. وعليك أن تبحث عنها حيث يمكنك أن تجدها وتقصدها.

في الغرب، لم يعد الدين جزءًا من الحياة. وحوالي سن الثانية والأربعين يواجه كل شخص غربي مشاكل نفسية متعددة. يصابون بجميع أنواع الأمراض العصابية، ويصابون بالقرحة. ذلك أن القرحة مظهر من مظاهر الطموح. والرجل الطموح لا بد أن يصاب بالقرحة، فالطموح يقضم، يقضمك من الداخل، فتبلغ درجة كبيرة من التوتر تجعلك تقضم البطانة التي تغلّف معدتك. أنت متوتر وكذلك معدتك، فهي لا تسترخي على الإطلاق. وعندما يتوتر العقل، تتوتر المعدة.

إذا أصبت بالقرحة، فهذا دليل على أنك رجل ناجح. وإذا لم تكن مصابًا بالقرحة، فهذا دليل على أنك فقير وفاشل. إذا تعرضت لأول نوبة قلبية

في سن الثانية والأربعين، فأنت رجل في قمة النجاح. ويجب على الأقل أن تكون وزيرًا، أو رجل أعمال غنيًا، أو ممثلاً مشهورًا. وإلا كيف يمكننا أن نفسّر الإصابة بالقرحة أو النوبة القلبية؟ إنهما رمزا النجاح.

كل الرجال الناجحين يتعرضون لنوبات قلبية، لا مفر من ذلك. إن أنظمتهم بكاملها مشبعة بالعناصر السامة: الطموح، الرغبة، المستقبل، الغد. لقد عاشوا في عالم من الأحلام ولم تعد أنظمتهم قادرة على الاستمرار على هذا النمط وهكذا تبرز الأمراض العصابية والقرحة.

ولكن في سن الثانية والأربعين أيضًا، يحصل تحوّل هام. يبدأ الإنسان بالتفكير بالدين، وبالعالم الآخر. لقد أصبحت الحياة عبئًا ثقيلاً، ولم يعد هناك ما يكفي من الوقت - كيف يمكننا التوصل إلى الله، إلى النيرفانا، إلى التنوّر؟ من هنا برزت نظرية التقمّص: «لا تخشَ الموت، سوف تولد مجددًا إلى ما لا نهاية، وستستمر عجلة الحياة بالدوران. لا تدع الخوف يتملّكك: هناك متسع كافٍ من الوقت، هناك أبدية كافية متبقية - يمكنك أن تصل إلى مبتغاك».

لهذا السبب ولدت في الهند ثلاث ديانات - اليانية Jainism، والبوذية، والهندوسية - لا تتوافق على أي فكرة ما عدا التقمص. هذه الديانات الثلاث المختلفة التي لا تتوافق حتى على المفهوم الجوهري لله وطبيعة الذات... تتبنى جميعها نظرية التقمص - لا بد أن هناك سببًا لذلك. إن الجميع بحاجة إلى الوقت، وثمة حاجة كبيرة إلى الوقت من أجل التوصّل إلى براهما. وهذا طموح كبير. وأنت لم تظهر اهتمامًا بذلك حتى بلغت الثانية والأربعين ولم يعد أمامك سوى ثمانية وعشرين سنة متبقية.

وهذه السنة هي بداية اهتمامك بالدين. والواقع أنك في هذه السن أصبحت طفلاً في عالم الدين ولم يعد متبقيًا أمامك سوى ثمانية وعشرين سنة. ويبدو لك الوقت المتبقي قليلاً، لا يكفي للتوصل إلى أهدافك السامية - البراهما للبوذيين، والبراهمن للهندوسيين، والموكشا Moksha لليانيين - والتحرر من ترسبات

كل أفعالك في الماضي. ولكن الماضي يعني تراكمًا لآلاف أو ملايين أدوار الحياة؛ كيف يمكنك أن تتخلّص من ترسّبات كل هذا الماضي خلال ثمانية وعشرين سنة؟ كيف يمكنك أن تغيّر هذا الماضي الشاسع بأكمله؟ هناك ترسّبات سلبية وترسّبات إيجابية - كيف يمكنك أن تطهّر خطاياك كليًا خلال ثمانية وعشرين سنة؟ لا عدل في ذلك! الله يطلب منا الكثير، يطلب المستحيل. سوف تشعر بالإحباط إذا لم يكن لديك سوى ثمانية وعشرين سنة. والبوذيون الذين لا يؤمنون بالله أو الروح، يؤمنون بالتقمص. كيف يمكنك التوصل إلى النيرفانا، إلى الفراغ النهائي، إلى الفراغ المطلق، كيف يمكنك أن تتخلص من كل ما حُمّلت به من ترسّبات طوال آلاف أو ملايين السنين خلال ثمانية وعشرين عامًا؟ المهمة تبدو مستحيلة. وهكذا تتوافق جميع هذه الديانات على شيء واحد، وهو الحاجة إلى مزيد من الوقت.

إذا كنت طموحًا، أنت بحاجة إلى الوقت. وفي رأيي أن الإنسان المتديّن لا يحتاج إلى الوقت. فهو يصبح متنوّرًا ومتحررًا في اللحظة الآنية، ويتوصل إلى البراهمن في اللحظة الآنية. والمتدين ليس بحاجة إلى الوقت لأن الدين يحصل في لحظة غير زمنية. يحصل الآن، يحصل دائمًا الآن؛ ولم يحصل أبدًا بطريقة مخالفة.

في سن الثانية والأربعين يبرز أول دافع ديني، وهو دافع غير واضح، وغامض، ومشوّش. أنت لا تعي ما يحصل، ولكنك بدأت تنظر إلى المعبد بمزيد من الاهتمام. في بعض الأحيان تزور الكنيسة أيضًا بطريق الصدفة. وفي أحيان أخرى - إذا كان لديك بعض الوقت، وليس لديك ما يشغلك - تبدأ بتقليب صفحات الإنجيل الذي جمع كثيرًا من الغبار لسنين طويلة. إنه دافع غامض، يدفع الإنسان للجلوس وحيدًا بصمت بعض الأحيان، ويدفعه لترداد بعض الأبيات أو الترنيمات الدينية Mantra التي سمعها في طفولته. وبينما يبدأ البعض بالبحث عن معلّم ديني ليرشدهم، يبدأ آخرون بممارسة الشعائر والطقوس الدينية وتعلّم الآيات الدينية. إنها عملية بحث غامضة وغير مركزة.

عندما يبلغ الإنسان سن التاسعة والأربعين، يصبح البحث واضحًا. لقد تطلّب الأمر سبع سنوات ليصبح البحث واضحًا. وقد بلغنا الآن مرحلة التصميم. في هذه المرحلة إذا سارت الأمور بشكلها الطبيعي، يتوقف اهتمام الإنسان بالآخرين. يتوقف اهتمام الرجل بالمرأة وتفتر مشاعره الجنسية. يتوقف اهتمام المرأة بالرجل وينقطع عندها الطمث. ويبدأ كلاهما بالنظر إلى الجنس على أنه شيء صبياني، لا يليق بالأشخاص الناضجين.

ولكن المجتمع يفرض على الإنسان ممارسات ضد قناعته بعض الأحيان... في الشرق، كان المجتمع ضد الجنس وعمل على قمعه. وعندما يبلغ الفتى سن الرابعة عشرة يقمعون أي سلوك يعبّر عن أي رغبة جنسية لديه؛ يريدون الاعتقاد أن الفتى ما زال طفلاً ولا يفكر بالفتيات. ربما كان الفتيان الآخرون في الجوار يفكرون بالفتيات، ولكن ليس ولدك. إنه لا يزال بريئًا كالأطفال، كالملائكة. ولكن الحقيقة غير ذلك. لقد دخلت الفتاة إلى وعيه وتملكت خياله، وهذا أمر طبيعي - ولكن عليه أن يخبئ مشاعره.

في الغرب، زال هذا النوع من القمع وبرز قمع من نوع آخر. في رأيي، لا يمكن للمجتمع أن يكون غير قمعي. إذا تخلّى عن ممارسة قمعية معيّنة، يباشر ممارسة قمعية في مجال آخر. في الغرب، يبدأ القمع تقريبًا في سن التاسعة والأربعين: يفرض على الناس عدم التوقف عن الممارسة الجنسية لأن ثقافتهم تقول: «ماذا تفعل؟ لماذا تتوقف عن ممارسة الجنس؟ يمكن للرجل أن يبقى ناشطًا جنسيًا لغاية سن التسعين!». ويجمع الخبراء في هذا الحقل على هذا القول. وإذا لم تكن ناشطًا أو مهتمًا تبدأ بالشعور بالذنب. في التاسعة والأربعين من العمر، يبدأ الرجل بالشعور بالذنب لأنه لا يمارس الجنس بالمقدار المتوقع منه.

ويبدأ المعلمون والأصحاب بإسداء النصائح ويقولون لك: «هذا هراء، يمكنك أن تمارس الجنس حتى تبلغ التسعين من العمر، لا تتوقف عن

ممارسة الجنس». ويقولون لك إذا لم تمارس الجنس تفقد طاقتك الجسدية وتتوقف أعضاؤك عن القيام بوظائفها ثم تفارق الحياة. إذا أردت أن تحافظ على طاقتك الجسدية وعلى وظائف أعضاء جسدك، يجب أن تمارس الجنس. إذا توقف الزوج، تلاحقه زوجته؛ وإذا توقفت الزوجة، يلاحقها زوجها.

لقد ارتكبنا حماقة في الشرق، وارتكب الغرب حماقة مماثلة في العصور القديمة. كان الدين يحرم على الفتيان الذين هم في سن الرابعة عشرة أن يكونوا ناشطين جنسيًا. ولكن الفتيان في هذه السن يصبحون ناشطين جنسيًا بفعل الطبيعة، ولا يمكنهم أن يفعلوا أي شيء حيال ذلك. ماذا بإمكانهم أن يفعلوا؟ كل هذه التعاليم التي حرمت الجنس في سن الرابعة عشرة هي في منتهى السخافة لأنها تقمع الطبيعة وتخلق الشعور بالذنب.

الآن يحصل قمع باتجاه معاكس. في عمر التاسعة والأربعين يجبر علماء النفس الناس على الاستمرار بممارسة الجنس؛ ويزرعون الخوف في قلوب الناس بنشر معلومات تفيد أن التوقف عن ممارسة الجنس قد يؤدي إلى توقف الحياة. وكما أن الجنس ينشط بصورة طبيعية في عمر الرابعة عشرة، فإنه يخفت طبيعيًا في سن التاسعة والأربعين. إنها دورة الحياة.

لهذا السبب قررنا في الهند أنه في سن الخمسين يجب أن يبدأ الرجل بالتحول إلى فانبراس Vanprasth، وعليه أن يحوّل أنظاره باتجاه الغابة ويدير ظهره للحياة الدنيوية؛ وفانبراس كلمة جميلة؛ تعني الشخص الذي يوجه أنظاره نحو جبال الهمالايا، نحو الغابة. لقد أدار ظهره الآن للطموحات والرغبات، وبدأ التوجه نحو العزلة، بدأ التحول إلى ذاته الحقيقية.

قبل ذلك كانت الحياة مليئة بالمشاغل، ولم يكن بإمكانه توخّي العزلة. كان عليه أن يقوم بواجباته العائلية، وأن يرعى أطفاله حتى بلوغ سن الرشد. والآن بعد أن بلغوا سن الرشد وأصبحوا مستقلين ومستقرين،

أصبح بإمكانه أن يتخلى عن حياة الاستقرار، ويمكنه أن يبتعد عن منزله ويعيش حياة التشرد مجددًا. يمكنه أن يحوّل أنظاره نحو الغابة الآن، يمكنه أن ينظر إلى داخل ذاته، يمكنه أن يتحول أكثر وأكثر نحو التأمل والصلاة.

في سن السادسة والخمسين، يحصل تحوّل جذري جديد. لم يعد كافيًا أن نحوّل أنظارنا نحو الهمالايا، بل يجب أن نرتحل الآن. الحياة تشارف على الانتهاء والموت يقترب مسرعًا. في هذه السن يجب أن يتوقف اهتمامنا بالغير والجنس الآخر. ويجب أن يتوقف اهتمامنا بالنشاطات الاجتماعية. ويجب أن نستقيل من أندية الروتاري Rotary Clubs وأندية الأسود Lions Clubs. أن نكون أعضاءً في هذه الأندية هو في منتهى السخافة والصبيانية في هذا العمر.

في السادسة والخمسين، يجب أن نكون ناضجين بما فيه الكفاية لنتخلى عن كل الارتباطات الاجتماعية. انتهى الأمر! لقد عشنا وتعلمنا بما فيه الكفاية. يجب الآن أن نشكر الجميع ونفارق الحياة الاجتماعية. يجب أن ننكر الحياة الدنيوية ونصبح متنسكين. وكما أن هناك مدخلاً للحياة، يجب أن يكون هناك مخرج منها. هذا المخرج هو التنسك.

في سن الثالثة والستين تصبح طفلاً مجددًا، منشغلاً كليًا بنفسك. هذا هو التأمل، أن تتوجه نحو الداخل وكأن العالم الخارجي لم يعد له وجود، وكأنك كل ما تبقى من الوجود. لقد أصبحت طفلاً - ولكنه غني بتجارب الحياة، ناضج، ومتفهم، وحاد الذكاء. الآن تصبح بريئًا مجددًا، وتبدأ بالتوجه نحو الداخل. لم يعد متبقيًا لديك سوى سبع سنين، ويجب أن تستعد للموت.

ماذا يعني الاستعداد للموت؟ يعني أن نواجه الموت ونحن في حالة من السعادة، والفرح، والرضى، والتقبّل. لقد أعطاك الله فرصة لتتعلم ولقد تعلمت. والآن حان وقت الراحة. الآن تريد أن تذهب إلى المسكن الأخير. لقد كانت الحياة رحلة طويلة، وتقلبت في أراضٍ

غريبة، وعشت مع غرباء، وأحببت غرباء، وتعلّمت الكثير. والآن حان الوقت، يجب أن يعود الأمير إلى مملكته.

في سن الثالثة والستين، يصبح الإنسان منغلقًا على نفسه. تتجه طاقته كلها نحو الداخل. ويصبح دائرة مغلقة من الطاقة. تبقى الطاقة في الداخل، ولا تذهب إلى الخارج. وتتوقف القراءة ويتوقف الكلام. ويزداد الصمت، والانكفاء نحو الذات، ويصبح الإنسان مستقلاً كليًا عن المحيط الخارجي. تبدأ الطاقة بالاضمحلال تدريجيًا.

في سن السبعين أنت في أتم الاستعداد. وإذا مررت بكل هذه الدورات على الشكل الطبيعي، قبل تسعة أشهر من ساعة المنية، تصبح واعيًا أن الموت يقترب منك. وكما أن الجنين يقضي تسعة أشهر في الرحم، تتكرر الدورة نفسها كليًا قبل الوفاة. قبل أن توافيك المنية بتسعة أشهر، تدخل مجددًا إلى الرحم. هذا الرحم ليس في داخل الأم الآن، إنه في داخلك.

الهنود يسمون المزار الذي يقع في أقصى نقطة داخل المعبد «غاربا» Garbha، الرحم. وهي تسمية رمزية، ولكن متعمدة؛ هذا هو الرحم الذي يجب أن يدخله الإنسان في المرحلة الأخيرة من الحياة. في التسعة أشهر الأخيرة، يدخل الإنسان إلى ذاته، ويصبح جسده هو الرحم. يدخل الإنسان إلى المزار الأكثر عمقًا في الداخل، حيث الشعلة لا تنطفئ، وحيث الضوء لا يتوقف عن الإشعاع؛ يدخل إلى المعبد، حيث يقطن الإله منذ البداية. وهذه دورة الحياة الطبيعية.

هذه الدورة الطبيعية ليست بحاجة للمستقبل. يجب أن تحيا اللحظة الآنية بشكل طبيعي، وستأتي اللحظة التالية منها بطريقة طبيعية. مثلما ينمو الطفل ويصبح شابًا - لا حاجة للتخطيط لذلك. إن الطفل يصبح شابًا، وهذا أمر طبيعي. وكما ينساب النهر ويأتي إلى المحيط، تنساب أنت بنفس الطريقة وتأتي إلى النهاية، إلى المحيط. ولكن يجب أن يحصل الانسياب بطريقة طبيعية وأن تأتي اللحظة التالية من اللحظة الآنيّة. وعندما تبدأ التفكير بالمستقبل، بالطموحات والرغبات، ستضيّع هذه

اللحظة. وعندما تضيّع هذه اللحظة ستخلق فجوة وتسبب الانحراف لأن شيئًا ما ينقصك.

إذا لم يعش الطفل طفولته بشكل طبيعي، تدخل حياة الطفولة إلى مرحلة الشباب - لا مفر من ذلك؛ يجب أن نحيا حياة الطفولة. عندما يكون الطفل في الرابعة من العمر، يرقص، ويلعب، ويلاحق الفراشات، وذلك أمر طبيعي وجميل. ولكن عندما نرى شابًا في العشرين من العمر يلاحق الفراشات، نقول إنه مجنون، ويجب أن يدخل إلى المصح العقلي. لم يكن في ذلك أي عيب في سن الرابعة.

كان ذلك أمرًا طبيعيًا وجميلاً، وكان السلوك الطبيعي الذي نتوقعه من الطفل. ولكن عندما يبلغ العشرين من العمر ويبدأ بملاحقة الفراشات، يجب أن ندرك أنه لم ينمُ بطريقة طبيعية، ولم ينضج. نما الجسد ولكن العقل لم ينمُ. لا بد أن شيئًا ما حصل أثناء مرحلة الطفولة - لم يُسمح له أن يعيش طفولته بكليتها. ولو سمح له بذلك، لأصبح في سن العشرين رجلاً متزنًا مدركًا غّير ملوث بأنماط سلوكية طفلية.

عش شبابك بكلّيته. لا تصغ إلى الأجيال القديمة - لأنهم قمعوا ودمروا الشباب. إنهم ضد الجنس، وعندما يكون المجتمع مناهضًا للجنس، يطغى الجنس على حياتك بأكملها، ويصبح سمًّا. عش شبابك! وتمتع به!

بين سن الرابعة عشرة وسن الواحدة والعشرين، يكون الشاب في ذروة طاقته الجنسية. وبالتحديد يبلغ الشاب ذروة نشاطه الجنسي في سن السابعة عشرة أو الثامنة عشرة. في هذه السن تبلغ النشوة الجنسية ذروتها.

أنت في حيرة من أمرك، لأن المجتمع يفرض عليك أن تبقى بتولاً حتى سن الواحدة والعشرين على الأقل - وهذا يعني أنك ستضيّع أفضل الفرص لتعلم الجنس وممارسته. في سن السابعة عشرة كنت في ذروة

نشاطك الجنسي - كانت نشوتك الجنسية قادرة على أن تشعرك بأقصى السعادة، بأقصى المتعة الجسدية. وعندما أقول أن بإمكان الجنس أن يوصلنا إلى حالة السامادي Samadhi، إلى حالة الوعي الأعلى، فأنا لا أتكلم عن الأشخاص الذين هم في سن السبعين، ولكن عن الأشخاص الذين هم في سن السابعة عشرة. حول كتابي «من الجنس إلى الوعي الأعلى» From Sex to Superconsciousness... يأتي إليّ الرجال المسنون ويقولون لي: «لقد قرأنا كتابك ولم نتمكن من تحقيق شيء مماثل». وكيف يمكنهم ذلك؟ لقد أضاعوا الفرصة ولا يمكنهم تعويضها؛ أنا لست مسؤولاً عن ذلك؛ مجتمعهم هو المسؤول وقد أصغوا له.

إذا سُمح للفتى بين سن الرابعة عشرة والواحدة والعشرين أن يمارس الجنس بحرية تامة، يصبح الجنس أمرًا غير ذي أهمية بالنسبة له، ويتحرر من الجنس كلّيًا. ولن ينظر مجددًا إلى أي من المجلات الجنسية. ولن يتعرض للفتيات ويتصرف معهن بطريقة غير لائقة.

عندما تسنح الفرصة للرجل بأن يحتك جسده بجسد امرأة، فإنه لن يفوتها - وهذا أمر في منتهى البشاعة ـ وما أقبحه من مشهد عندما ينظر رجل مسن إلى امرأة بعينين تنضح منهما الشهوة. يجب أن تنضح البراءة من عينيه، ويجب أن يكون قد تجاوز شهواته الجنسية الآن. أنا لا أقول إن الجنس بشع. الجنس رائع في وقته وأوانه، وبشع في غير وقته وغير أوانه. الجنس هو مرض عندما يمارسه رجل في التسعين من العمر. ومن هنا عبارة «رجل مسنّ قذر» Dirty old man. واهتمام الشاب بالجنس هو دليل حيوية وعافية؛ أما اهتمام الرجل المسن بالجنس فهو دليل حياة منتقصة، فارغة، ودليل عدم نضج.

تذكّر أنه بين سن الرابعة عشرة والواحدة والعشرين، يسمح المجتمع السليم بممارسة الجنس بحرية تامة. وبعد ذلك يفتر اهتمام المجتمع بالجنس بصورة آلية. وبعد فترة معيّنة يتوقف الجنس، ويزول

المرض من المجتمع - عش حياتك الجنسية في الوقت المناسب، وتخلّ عنها عندما يفوت الأوان. ولتتمكن من التخلي عنها، يجب أن تكون قد عشتها في الوقت المناسب؛ وإلا فإنك ستكون منشغلاً بها مدى الحياة.

في الشرق، لا تصغ للأجيال القديمة، مهما رددوا من الأقوال. أصغ إلى الطبيعة - عندما تقول الطبيعة إنه وقت الحب، مارس الحب. عندما تقول الطبيعة حان الوقت للتخلي عن الحياة الجنسية، تخل عنها. ولا تصغ إلى علماء النفس وعلماء التحليل النفسي الحمقى في الغرب. بالرغم من كل أدوات القياس الدقيقة التي يستخدمونها - ماسترز وجونسن Masters and Johnson وغيرهما - والتجارب التي أجروها على كثير من المتطوعين، فإنهم لا يعرفون شيئًا عن دورة الحياة.

في الواقع، أنا أعتقد أن ماسترز وجونسن يتلذذان برؤية المشاهد الجنسية، وأنهما مريضان جنسيًا. وإلّا مَن غير المريض جنسيًا يزعج نفسه بمراقبة الأعضاء التناسلية للآلاف من النساء بواسطة بعض الأدوات، ليعرفوا ماذا يحصل داخل أعضائهن أثناء ممارسة الجنس. ومَن يهتم لذلك؟ هذا في منتهى السخافة. ولكن عندما يبدأ الإنسان بالانحراف، فلا عجب أن نرى هذا النمط من السلوك. الآن، أصبح ماسترز وجونسن خبيرين في السلوك الجنسي. إذا صادفت بعض الاضطرابات الجنسية، فهما المرجع الذي يجب أن تلجأ إليه. وأنا أعتقد أنهما أضاعا فرصتهما في سنوات الشباب، ولم يعيشا حياتهما الجنسية بشكل سليم. ولكن عندما نستخدم شعار العلم، يمكننا أن نفعل أي شيء. لقد صنعوا الآن قضيبًا ذكريًا ليستخدموه داخل أعضاء المرأة التناسلية ليتعرفوا على ما يحصل في الداخل؛ يريدون أن يعرفوا ما إذا كانت النشوة الجنسية يسبّبها المهبل أو البظر، ما هي أنواع الهرمونات التي يفرزها الجسم أثناء بلوغ النشوة الجنسية، وإلى أي سن يمكن للمرأة أن تمارس الجنس. يقول الخبراء: حتى نهاية العمر - حتى وهي على فراش الموت.

ويرى هؤلاء الخبراء أنه بعد سن اليأس (انقطاع الطمث) تتمكن المرأة من التمتع بممارسة الجنس أكثر من أي وقت مضى. لماذا يقولون ذلك؟ لأن المرأة، كما يقولون، تكون قبل انقطاع الطمث بحالة خوف دائم من الحبل، حتى لو كانت تتناول حبوب منع الحمل، لأن هذه الحبوب لا تؤمن وقاية تامة. ولكن بعد انقطاع الطمث، يتبدد هذا الخوف. وإذا انتشرت تعاليمهم وصدّقها الناس تصبح النساء مصاصات دماء، وستعمد النساء المسنّات إلى مطاردة الرجال بقصد ممارسة الجنس لأنهن تحررن من الخوف. في الواقع، يقول الخبراء إن هذا أفضل وقت للنساء للتمتع بالجنس من دون أية مسؤولية.

يقولون الشيء نفسه بالنسبة للرجل أيضًا. لقد صادفوا رجلاً في الستينات من عمره، بإمكانه ممارسة الجنس خمس مرات يوميًا. هذا الرجل غير طبيعي. هناك خلل ما في هرموناته. وأنا أقول ذلك استنادًا إلى معرفتي الشخصية بحياة عدد كبير من الرجال، أتذكرهم جيدًا - عندما يبلغ الرجل سن التاسعة والأربعين، يفقد اهتمامه بالمرأة. يذهب الاهتمام كما يأتي.

كل ما يأتي، مصيره أن يذهب. كل ما يرتفع، مصيره أن يسقط. كل موجة ترتفع، مصيرها الزوال. موجة الجنس تظهر في سن الرابعة عشرة وتختفي حوالي سن التاسعة والأربعين. ولكن أن يتمكن رجل في الستينات من عمره من ممارسة الجنس خمس مرات يوميًا هو أمر غير طبيعي على الإطلاق. هناك مشكلة، وجسمه لا يقوم بوظائفه بشكل سليم. هذا هو الجانب الآخر من العجز الجنسي، الجانب المعاكس. عندما لا يشعر فتى بعمر الرابعة عشرة أو الثامنة عشرة بأي مشاعر أو رغبات جنسية، تكون هناك مشكلة يجب أن يصار إلى معالجتهما. والأمر مشابه عندما يتمكن رجل في الستينات من عمره من ممارسة الجنس خمس مرات يوميًا. إن جسمه لا يقوم بوظائفه بطريقة سليمة وطبيعية.

عندما نعيش اللحظة الآنية بكلّيتها، لا حاجة لأن نقلق حيال المستقبل. وعندما تحيا حياة طفولية طبيعية، ستقودك إلى حياة فتوة طبيعية، طافحة ومتدفقة بالحيوية. وعندما تحيا حياة فتوة طبيعية، ستقودك إلى حياة هادئة ومستقرة. وحياة هادئة ومستقرة، ستدفع بك إلى التساؤلات الدينية: ما هي الحياة؟ وأن نحيا الحياة أمر غير كافٍ، ويجب أن نخترق أسرارها. إن حياة هادئة ومستقرة ستدفع بك إلى التأمل. والتأمل يدفع بك إلى التخلي عن كل ما هو دنيوي، لا قيمة له. والحياة الدنيوية تصبح غير ذات قيمة على الإطلاق؛ والشيء الوحيد الذي يحافظ على قيمته إلى الأبد هو وعيك.

بحلول السنة السبعين، عندما تكون مستعدًا لمواجهة الموت - بشرط أن تكون قد عشت جميع مراحل حياتك بشكل طبيعي، عشتها في اللحظة الآنية، غير متطلع إلى المستقبل - تصبح واعيًا لدنو الموت قبل تسعة أشهر من ساعة المنية.

إن عددًا كبيرًا من القديسين أعلنوا موعد وفاتهم قبل أن توافيهم المنية بفترة زمنية معيّنة. ولكن لم يعلن أحد منهم وفاته قبل فترة تزيد على تسعة أشهر. والشخص الذي لا يفكر بالمستقبل لا يفكر بالماضي ـ إنهما مترابطان معًا - وعندما تفكر بالمستقبل، فإن كل ما تفعله هو إسقاط Projection الماضي؛ وعندما تفكر بالماضي، فكل ما تفعله هو التخطيط للمستقبل - إنهما مترابطان. والحاضر هو خارج الاثنين - والإنسان الذي يعيش اللحظة الآنية، لا يثقله عبء الماضي ولا يثقله عبء المستقبل. لا يحمل أية أعباء، أو أوزان. ولا تؤثر فيه الجاذبية. وهو في الواقع لا يمشي، بل يطير. وقبل أن توافيه المنية بتسعة أشهر تمامًا، يصبح واعيًا أن الموت يقترب.

عندها سيفرح ويحتفل ويقول للناس: «إن سفينتي آتية، سأبقى على هذه الضفة لبرهة وجيزة. قريبًا سأذهب إلى مسكني. كانت هذه الحياة جميلة، وتجربة غريبة. لقد أحببت وتعلمت، وأغنتني الحياة. لقد جئت إلى هذه الدنيا ولم أحمل معي أي شيء، وأنا أغادر الآن مع كثير

مـن التجارب والنضج». سيكون ممتنًا لكل ما حصل له، الجيد والسيء، والصحيح والخاطئ، لأنه تعلم من كل شيء. لقد تعـلّم مـن الحكمـاء الـذين صـادفهم، وكـذلك مـن الأشـرار. والجميع ساعدوه. مَن أقدموا على سرقته ومَن قدّموا له المسـاعدة؛ الأصـدقاء والأعـداء. الصـيف والشـتاء، الشـبع والجوع، كلّها ساعدته. وهو ممتن لكل شيء.

عنـدما يكـون الإنسـان ممتنـًا لكـل شـيء ومسـتعدًا للمـوت، ومحتفلاً بالفرصة التي أعطيت له، يصبح الموت تجربة ممتعـة. عنـد ذلـك لا يعـود المـوت عـدوًا بـل يصـبح أقـرب الأصدقاء لأنه أعلى قمة تبلغها الحياة. وهو ليس نهاية الحياة، بل ذروة الحياة. قد يبدو لك الموت نهاية الحياة وذلك لأنك لم تعرف الحياة. الموت هو الذروة، وهو الغاية المنشودة. والحياة لا تنتهي بـه، وإنمـا تزهـر بـه - إنـه الزهـرة. ولكـن لكـي تعـرف جمـال الموت، يجب أن تكون مستعدًا له، ويجب أن تتعلّم هذا الفن.

العلاقة الناضجة

التبعية، الاستقلالية، الاعتماد المتبادل

للحب ثلاثة أبعاد. البعد الأول هو التبعية أو الاتكالية؛ وهذا ما يحصل في علاقات معظم الناس. يتكل الزوج على الزوجة والزوجة تتكل على الزوج؛ يستغل أحدهما الآخر، ويتملك أحدهما الآخر، ويسيطر أحدهما على الآخر؛ ويحوّل أحدهما الآخر إلى سلعة. هذا ما يحصل في 99% من العلاقات بين الأزواج في العالم. ولهذا السبب، فإن الحب القادر على فتح أبواب الجنة، يفتح أبواب الجحيم.

البعد الثاني هو الحب بين شخصين مستقلّين، وهذا يحصل في قليل من الحالات. ولكن هذا النوع من الحب يجلب الشقاء أيضًا لأن هناك صراعًا دائمًا بين الطرفين. ولا مجال للتسوية أو التكيّف. فكل شخص يتمسك بمواقفه وآرائه ولا يعطي أية فرصة للتكيف والتوافق.

الشعراء، والمفكرون، والفنانون، والعلماء، جميعهم يعيشون حياة استقلالية تامة ومن الصعب العيش برفقتهم. إنهم غريبو الأطوار. يعطون الحرية للشخص الآخر، ولكن هذه الحرية تبدو وكأنها دليل على اللامبالاة وعدم الاكتراث، أكثر منها دليل على الحب. يعطي أحدهم الآخر فسحة تحرك كبيرة ولكن علاقتهم تبقى سطحية. وهم يخشون أن يتعمقوا بعلاقاتهم خوفًا من أن يخسروا حريتهم. والحرية أهم من الحب بالنسبة لهم.

البعد الثالث هو الحب القائم على الاعتماد المتبادل، وهذا قليل الحصول أيضًا. ولكن عندما يحصل، تهبط قطعة من الجنة على الأرض. ثمة شخصان غير مستقلين وغير تابعين ولكنهما يعيشان بحالة توافق وانسجام وكأن أحدهما يتنفس الهواء للآخر، كأنهما روح واحدة تعيش في جسدين - وعندما يتحقق ذلك يولد الحب. وهذا فقط ما

يمكـن أن نسـمّيه الحـب. أمـا العلاقتـان الأخريـان فـهما لا تتعديان كونهما ترتيبات - اجتماعية، نفسية، بيولوجية. وهـذا النمـط الثـالث مـن العلاقـات هـو العلاقـة الروحيـة الوحيدة.

الحاجة والعطاء، الحب والتملّك

قسم ث. س. لويس C.S. Lewis الحب إلى نوعين: «الحب الحاجـة» و«الحـب العطـاء». وكـذلك فعـل أبراهـام ماسـلو Abraham Maslow الذي رأى أن هناك نوعين من الحب: «الحب - النقص» و«الحب - الوجود». وثمة فرق هام يجب أن نميّزه بين النوعين.

إن حب الحاجة أو حب النقص يعتمد على الآخر؛ وهو حب غير ناضج. والواقع أنه ليس حبًا حقيقيًا. إذ إن كل طرف فيـه يسـتغل الآخـر ويحـاول السـيطرة عليـه. وهكـذا يـدمّر أحـدهما الآخـر. واسـتغلال الآخـرين لا يمـتّ للحـب بصـلة. والمؤسف أن هذا النوع من الحب المزيّف هو الذي يتكوّن عنـد 99% مـن النـاس لأننـا نتعلـم أول دروس الحـب فـي سنوات الطفولة.

يولد الطفل وهو بحاجة إلى الأم. وحبه للأم هو حب حاجة - ولا يمكنه البقاء على قيد الحياة من دونها. إنه يحب الأم لأنها تؤمن له الحياة. والواقع أنه سيحب أية امرأة تؤمّن له الحماية وترضي جميع حاجاته. والأم هي عبارة عن غذاء يتناولـه. وهـو لا يحصـل علـى الحليب فقـط مـن الأم، بـل يحصـل علـى الحـب كـذلك - والحـب هـو حاجـة أيضـًا. إن ملايين الناس تبقى في حالة طفلية مدى الحياة؛ يكبرون علـى صـعيد العمـر ولكـن لـيس علـى صـعيد العقـل؛ وتبقـى طبيعتهم طفلية وغير ناضجة. وهم بحاجة دائمة للحب، يتوقون إليه توقهم للطعام.

يصبح الإنسان ناضجًا عندما يبدأ بإعطاء الحب للآخرين ويتوقف عن استخدامهم لتلبية حاجاته. وهناك فرق كبير بين الحالتين. في الحالة الثانية يركز الشخص على كيفية الحصول على المزيد وفي الحالة

الأولى يركز على إعطاء المزيد، دون مقابل. هذا هو النضج. فالشخص الناضج يعطي. وهو الوحيد القادر على العطاء لأنه الوحيد الذي يملك الحب.

ماذا يحصل عندما تتفتح زهرة في وسط الغابة حيث لا يتمكن أحد من رؤيتها، وحيث لا يوجد أي شخص ليقدّر جمالها وشذا عطرها؟ ماذا يحصل للزهرة؟ هل تتألم، هل يدب فيها الخوف؟ هل تذبل وتموت؟ هل تنتحر؟ كلا! إنها تستمر بالإزهار فحسب. لا فرق إذا مر أحد وشاهدها أم لا، فهي تستمر بنشر عطرها بواسطة الرياح. وتستمر بتقديم الفرح لله، للكل. إذا كنت وحيدًا، سأكون أنا أيضًا محبًا بنفس المقدار كما لو كنت برفقتك. أنت لست من يخلق الحب في داخلي. وإذا كنت أنت من يخلق الحب في داخلي، فعند ذهابك يذهب حبي معك. أنت لا تستخرج الحب من داخلي، أنا أغمرك به - هذا هو حب العطاء، حب الوجود.

أنا لا أوافق لويس أو ماسلو الرأي حيال النوع الأول من الحب - حب الحاجة. إذ لا يمكن أن نسمي ذلك حبًا، لأنه حاجة. وكيف يمكن للحاجة أن تكون حبًا؟ الحب هو ترف، هو وفرة. هو أن يكون لديك حياة كثيرة الغنى، لا تدري ماذا تفعل بها، فتشارك بها الآخرين. هو أن يحتوي قلبك على كثير من الأغاني ويفرض عليك أن تغنيها، أكان هناك من يستمع أم لا. سوف تغني أغانيك وترقص رقصاتك، بوجود المشاهدين أو بغيابهم - بالنسبة لك، إنها تنساب وتفيض. والأنهار لا تنساب وتفيض من أجلك، ولكنها تنساب بمعزل عنك. لا تنساب لتطفئ ظمأك وتروي حقولك، بل تنساب فحسب. ويمكنك أن تطفئ ظمأك أو لا ـ الأمر عائد لك.

هناك شقاء دائم عندما تعتمد على الآخر، لأن الاعتماد على الآخر يجعلك تشعر بالعبودية. وهذا الشعور يجعلك تلجأ إلى الانتقام بطرق مبطنة من سيطرة الآخر عليك. لا أحد يرغب بأن يكون مستضعفًا أو مستعبدًا، أو أن يكون كلي الاعتماد على شخص آخر، لأن ذلك يلغي

حريته. والحب لا يمكن أن يزهر في جو من التبعية - الحب هو زهرة الحرية. وهو يحتاج إلى فسحة شاسعة من الحرية.

عندما تكون معتمدًا على الآخر، سيحاول هذا الآخر السيطرة عليك، كما أنك ستحاول السيطرة عليه. هذا هو القتال الذي يدور بين مَن نسميهم العشاق. إنهم ألد الأعداء، لا يتوقفون عن القتال. الزوج والزوجة - ماذا يفعلان؟ تبادل الحب نادرًا ما يحصل، والقتال هو القاعدة، وتبادل الحب هو الشواذ. كل طرف يحاول السيطرة على الآخر، حتى عبر الحب. إذا أبدى الزوج رغبته بممارسة الحب، تظهر الزوجة ترددها وترفض. إنها في غاية البخل، عندما تعطي، تعطي بتردد، وتريد من الزوج أن يظهر لها الطاعة. والحال مشابهة مع الزوج. إذا أبدت الزوجة رغبتها بممارسة الحب، يقول لها الزوج إنه في غاية التعب، لقد كان لديه كثير من الأعمال لينجزها في المكتب وهو مرهق وبحاجة للراحة.

هذه طرق للسيطرة على الآخر، لتجويعه وجعله أكثر تبعية. طبعًا، المرأة أكثر ديبلوماسية من الرجل في هذا المجال لأن الرجل هو الطرف القوي في هذا الصراع. وهو ليس بحاجة لإيجاد طرق ماكرة ومبطنة ليسيطر، إنه الأقوى، والمسيطر، والذي يتولى الشؤون المالية - وهذا أهم مصادر القوة. هو أيضًا أقوى من الناحية الجسدية. ولقد طبع المرأة عبر العصور وجعلها تعتقد أنها أقل قوة منه. وهو يبحث دائمًا عن امرأة أقل منه شأنًا، ولا يرغب بالزواج من امرأة أكثر منه علمًا وثقافة، لأنه قد يفقد السيطرة. كذلك لا يرغب بالزواج من امرأة تحب النقاش والجدال لأن الجدال يدمّر سلطته. ولا يرغب بالزواج من امرأة مشهورة خوفًا من أن يصبح مهمشًا. كما أنه لا يرغب بالزواج من امرأة تكبره بالعمر، لأنها قد تفوقه خبرة ومعرفة وهذا سيدمّر سلطته.

إذًا، لقد بحث الرجل دائمًا عن امرأة أقل منه على جميع المستويات - وبسبب ذلك فقدت المرأة طول قامتها. ولا مبرر على الإطلاق لأن يكون الرجل أطول قامة من المرأة. بَيد أن المرأة فقدت طول

قامتـها لأن الرجـل كـان دائمـًا يختــــار أقصـــــرهن قامـــةً. وهكـذا تضــاءلت نســبة النســاء طويلات القامة من خلال عملية الانتقاء الطبيعي. ولقد فقدت المرأة ذكاءها لأن الرجل لم يكن بحاجة إلى امرأة ذكية. وستصاب بالدهشة إذا علمت أن قامة المرأة ازدادت طولاً في القرن العشرين وكبر حجم هيكلها العظمي. حتى أدمغتهن أصبحت أكبر حجمًا. وقد حصل كل ذلك خلال خمسين عامًا فقط... وخاصة في الولايات المتحدة.

وبما أن الرجل كان يملك السلطة، فإنه لم يكن بحاجة لأن يكـون شـديد الـذكاء، ولـم يكـن بحاجـة لاستخدام طـرق ملتوية مع المرأة. ولم تكن المرأة تملك السلطة وكان عليها أن تعوّض عن هذا النقص باستخدام الطرق الديبلوماسية. والطريقة الوحيدة التي بإمكانها أن تشعرها بالقوة، هي أن يكون الرجل بحاجة دائمة لها. وهذا ليس حبًا، وإنما هو صفقة فقط، حيث الرجل والمرأة يساومان على السعر. إنه قتال متواصل.

إن الحب يولد فقط عندما تكون ناضجًا. والإنسان الناضج هو وحده قادر على العطاء. وعندما تدرك أن الحب ليس حاجة وإنما هو انسياب طبيعي - حب العطاء، حب الوجود - عندها تعطي من غير مقابل.

النوع الأول، أو ما يسمّونه الحب، ينتج عن حاجة شخص إلى شخص آخر، بينما النوع الثاني، الحب العطاء، ينساب من شخص ناضج إلى شخص ناضج آخر بسبب الوفرة. وهذا الشخص الناضج يفيض بالحب، تمامًا كما ينشر النور الكـهربائي أشـعته فـي الظلمـة. والحـب هـو حصـيلة ثانيـة للوجود. عندما تكون جزءًا من الوجود، تغلّفك هالة الحب، وعندما لا تكون جزءًا من الوجود لا تغلّفك هالة الحب. وعنـدما لا تغـلّفك هالــة الحــب، تطلــب مــن الآخــرين أن يمنحوك الحب. إذًا، عندما لا تملك الحب، تطلب من الآخر أن يمنحك إياه. أي أنك شحّاذ. غير أن الآخر يطلب منك أن تمنحه إياه. والآن هناك شحاذان يبسطان أيديهما الواحد باتجاه الآخر، وكلاهما يأمل أن يكون الآخر ممتلكًا للحب... وفي النهاية يشعر كلاهما بالهزيمة والخداع.

بإمكانك أن تسأل أي زوج وزوجة، أي عاشق وعاشقة - كلاهما يشعر أنه خُدِع. كنت تتوقع أن الآخر يملك الحب ولكن توقعاتك كانت خاطئة. ماذا بإمكان الآخر أن يفعل؟ لقد خابت توقعاتك حياله، ولكنه غير مُجبر أن يحقق لك توقعاتك.

وأنت خدعت الآخر ـ هذا ما يشعر به، لأنه كان يتوقع منك أن تفيض بالحب. كلاكما كان يتوقع أن يفيض الآخر بالحب، ولم يحصل أي منكما على الحب ـ وكيف يمكن أن يولد الحب؟ كنتما في الماضي تشقيان على انفراد، وكل ما يمكن أن تحققاه الآن هو أن تشقيا معًا. وتذكّر أن الشقاء يتضاعف عندما يجتمع شخصان في حالة شقاء.

عندما كنت وحيدًا، كنت تشعر بالإحباط، والآن وأنتما معًا، تشعر بالإحباط أيضًا. ولكن نتج شيء جديد عن ذلك، وهو أن بإمكانك الآن أن تلقي مسؤولية شقائك على الآخر - الآخر يسبب لك الشقاء. إذًا، يمكنك أن تطمئن، وأن تقول: «ليس لدي أية مشكلة، ولكن الآخر.... ماذا عساي أن أفعل مع زوجة كهذه - شريرة ومزعجة للغاية؟ لا مفر من الشقاء». والزوجة تقول: «ماذا عساي أن أفعل مع زوج قبيح وبخيل؟». الآن باستطاعة كل منكما أن يلقي المسؤولية على الآخر؛ لقد عثرتما على كبش الفداء. ولكن الشقاء يبقى ويتضاعف.

الآن، هنا وجه التناقض: أولئك الذين يقعون في الحب، لا يملكون الحب. وهذا سبب وقوعهم في الحب. وبما أنهم لا يملكون الحب، فهم لا يتمكنون من إعطائه. وشيء آخر، وهو إن الشخص غير الناضج يقع دائمًا في حب شخص غير ناضج لأن باستطاعة أحدهما أن يفهم الآخر. والشخص الناضج يحب الشخص الناضج.

يمكنك أن تبدّل زوجتك مرّات عديدة، ولكنك ستعثر دائمًا على امرأة من نفس النمط وتتكرر حالة الشقاء وإن كان بأشكال مختلفة. يمكنك أن تبدّل زوجتك ولكن لا يمكنك أن تبدّل نفسك ـ الآن من سيختار الزوجة

الجديدة؟ أنت بالطبع. سينبع الخيار من شخصيتك غير الناضجة ويكون مماثلاً للخيارات السابقة.

المشكلة الأساسية في الحب هو أن يصبح الإنسان ناضجًا. عندها يمكنك أن تعثر على شريك ناضج. لأن الأشخاص غير الناضجين لن يتمكنوا من اجتذابك بعد ذلك. إذا كنت في الخامسة والعشرين من العمر، ناضجًا عقليًا وروحيًا، فلن تقع في حب طفل بعمر السنتين. هذا مستحيل.

في الواقع، إن الشخص الناضج لا يقع في الحب، بل يرتفع بالحب. والكلمة «يقع» غير مناسبة هنا. فالأشخاص غير الناضجين هم الذين يقعون، إذ لا يمكنهم أن يقفوا على أقدامهم بمفردهم، ولذلك يقعون في الحب. لقد كانوا دائمًا مستعدين لأن يقعوا على الأرض ويزحفوا. إنهم لا يملكون عمودًا فقريًا، ولا يملكون الشجاعة للوقوف بمفردهم.

إن الشخص الناضج يملك الشجاعة ليقف بمفرده. وعندما يعطي الشخص الناضج الحب، يعطيه من دون مقابل - هو يعطيه فحسب. وعندما يعطي الشخص الناضج الحب، يشعر بالامتنان لأنك قبلت حبه، وليس العكس. ولا يقبل أي شكر على الإطلاق لأجل ذلك. وهو ليس بحاجة لتلقي الشكر، وإنما يشكرك لقبول حبه. وعندما يجمع الحب بين شخصين ناضجين تحصل مفارقة من أعظم مفارقات الحياة، وظاهرة من أروع الظاهرات على الإطلاق: إنهما معًا ولكنهما منفردان في نفس الوقت. إنهما معًا كليًا لدرجة أنهما يصبحان شخصًا واحدًا تقريبًا، ولكن وحدتهما لا تدمّر فرديتهما - وفي الواقع فإنها تقوي فرديتهما. وعندما يجمع الحب شخصين ناضجين، يساعد أحدهما الآخر ليصبح أكثر تحررًا. ولا وجود للسياسة، أو الديبلوماسية، أو أية محاولة للسيطرة على الآخر.

كيف يمكنك أن تسيطر على الشخص الذي تحب؟ تمعّن في الأمر - إن السيطرة هي نوع من الكراهية، والغضب، والعداوة. كيف يمكنك أن تفكر بالسيطرة على من تحب؟

الـذي يحـب يعطـي الشـخص الـذي يحبـه مطلـق الحريـة والاسـتقلالية الفرديـة. لـهذا السـبب أصـف الحـب بأنـه مـن مفـارقات الحيـاة: إنـهما معـًا كليـًا لـدرجة أنـهما يصـبحان شخصًا واحدًا تقريبًا، ولكن برغم هذه الوحدة فإنهما لا يزالان فـردين مسـتقلين. كـل منـهما يقـوي فرديـة الآخـر وحريته.

عنـدما يقـع الأشـخاص غـير الناضـجين فـي الحـب، يـدمّر أحدهم حرية الآخر ويكبّله بالقيود؛ يدخله إلى السجن. وعندما يجمع الحب شخصين ناضجين، يحاول كل منهما مسـاعدة الآخـر علـى بلـوغ الحريـة وتحطـيم جميع أنـواع القـيود. عنـدما يفـيض الحـب مـع الحريـة، يولـد الجمـال. وعندما يفيض الحب مع التبعية، تولد البشاعة.

يجب أن تتذكر أن الحرية هي قيمة أسمى من الحب. فإذا كان الحب مدمرًا للحرية، فهو لا قيمة له. ويجب أن نتخلى عن الحب وننقذ الحرية. فمن دون الحرية لا يمكنك أن تحقـق السـعادة علـى الإطـلاق. والحريـة هـي الرغبـة الجوهرية عند كل إنسان - الحرية المطلقة. وعندما يهدد الحرية أي شيء نشعر بالكراهية نحوه.

ألا تكره المرأة التي تحب؟ أنت تكره! إنه شر لا بد منه ويجب أن تتحمّله. وبما أنك لا ترغب أن تكون وحيدًا، تتـدبّر أن تكـون مـع شـخص آخـر وعليـك أن تتكـيّف معـه وتتحمل متطلباته.

لكي يكون الحب حقيقيًا، يجب أن يكون حُبّ عطاء، حُبّ وجود. وحب الوجود يعني حالة حب ـ عندما تصل إلى مسكنك، عندما تعرف حقيقة ذاتك، عندها يولد الحب في داخلك. بعد ذلك ينتشر العطر ويمكنك أن تمنحه للآخرين. كيف يمكنك أن تعطي شيئًا لا تملكه؟ وأول شرط أساسي لكي تعطيه هو أن تملكه.

الحب والزواج

أقترح أن يتم الزواج بعد شهر العسل وليس قبله. وإذا سارت الأمور بشكلها الطبيعي، عند ذلك فقط يمكن أن يتم الزواج.

وأن يكون شهر العسل بعد الزواج هو أمر خطير. وعلى حد علمي، فإن 99% من الزيجات تنتهي بانتهاء شهر العسل. ولكن عند ذلك تكون قد وقعت في المصيدة، ولا سبيل للهرب. وعند ذلك يصبح المجتمع بأكمله - القانون، المحاكم، القيم الأخلاقية والدينية، كل الأصدقاء والمعارف - ضدك إذا أقدمت على ترك زوجتك.

في الواقع، يجب أن يخلق المجتمع عوائق للزواج وليس للطلاق. يجب أن لا يسمح المجتمع بأن تكون عملية الزواج في غاية السهولة. يجب أن تشترط المحاكم بعض العوائق - كأن تعيش مع المرأة لمدة سنتين أولاً، وبعد ذلك تسمح لك المحكمة بالزواج. الآن يطبقون عكس ذلك. إذا كنت ترغب بالزواج، لا أحد يستعلم عما إذا كنت مستعدًا للزواج أم أنها نزوة آنية، فقط لأنك أعجبت بأنف المرأة. ما هذه الحماقة، لا يمكن للإنسان أن يعيش مع أنف جميل فقط. بعد يومين سيفقد اهتمامه بالأنف - من ينظر إلى أنف زوجته؟ بعد فترة قصيرة من التعارف يفقد الزوج جماله وتفقد الزوجة جمالها، يختفي الجمال. يجب أن يُسمح للشخصين أن يسكنا معًا لفترة كافية تمكنهما من أن يتعرف أحدهما على الآخر. يجب أن لا يُسمح لهما بالزواج قبل تمضية هذه الفترة حتى ولو أرادا ذلك. عند ذلك يختفي الطلاق من الدنيا. ذلك أن الطلاق يحصل بكثرة لأن معظم الزيجات خاطئة ومفروضة، أو لأن الزواج يتم في جو رومانسي.

الجو الرومانسي مفيد إذا كنت شاعرًا ـ ومن المعروف أن الشعراء ليسوا بالأزواج الصالحين. والواقع أن معظم الشعراء يبقون عازبين. يقيمون كثيرًا من العلاقات ولكنهم لا يقعون في شباك الزواج، وهكذا يعيشون جوًا رومانسيًا على الدوام. يواصلون كتابة الشعر الجميل... يجب أن لا يتم الزواج في جو شاعري. انتظر قدوم الجو النثري ثم بادر بالاستقرار. لأن الحياة اليومية أقرب إلى النثر منها إلى

الشعر. ويجب أن يصبح الإنسان ناضجًا بما فيه الكفاية. وهذا يعني أن نتخلى عن الرومانسية الحمقاء. وأن نتفهم الحياة والمسؤوليات التي تحمّلنا إياها، وأن نتفهم المشاكل التي تطرأ عندما نعيش سوية مع شخص آخر. وعلينا أن نتقبل كل الصعوبات عندما نقرر أن نعيش مع شخص آخر. كما يجب أن لا نأمل أن تكون الحياة مجرد جنة وورود. وأن لا نأمل بالمستحيل. يجب أن نعرف أن الواقع قاس وشاق. هناك ورود ولكن هناك أشواك أيضًا.

عندما تصبح واعيًا لكل هذه الصعوبات وتقرر أن العيش مع هذا الشخص يستحق المخاطرة وأنه أفضل من أن تبقى وحيـدًا، عنـد ذلـك بـادر بـالزواج. وعنـدها لـن يقتـل الزواج الحب، لأن هذا الحب واقعي. ومن شأن الزواج أن يقضي فقط على الحب الرومانسي. لذلك يجب أن لا نعتمد على الحب الرومانسي وأن لا نتوقع أن نتغذى منه. قد يكون مشابهًا «للبوظة»، ولكن لا يمكنك الاعتماد عليه. وعليك أن تنظر إلى الحياة بواقعية أكثر.

والزواج على أية حال لا يدمّر أي شيء. ولكنه يبرز فقط ما هـو مخبـأ فـي داخلـك. إذا كـان الحـب مخبـأ فـي داخلـك، فالزواج سيبرزه. أما إذا كنت تدعي الحب، فإنه سيختفي عاجلاً أم آجلاً ثم تظهر الحقيقة وتظهر معها شخصيتك البشعة. إن الزواج هو فرصة فحسب، وكل ما كنت تخبئه في داخلك سيظهر للعيان.

الحب لا يدمّره الزواج. الحب يدمّره الأشخاص الذين لا يعـرفون كـيف يحبـون. يُقضـى علـى الحـب لأنـه لـم يكـن موجودًا في الأصل. كنت تعيش حلمًا ولقد دمّر الواقع هذا الحلم. والحب هو شيء أبدي، هو جزء من الأبدية. وإذا بلغت النضج، تعلمت فن الحب، وتقبّلت واقع حياة الحب، وسينمو فيك الحب كل يوم. ويصبح الزواج فرصة عظيمة ليتحول إلى حب.

لا يمكن لأي شيء أن يدمّر الحب. وإذا وجد الحب، فإنه لا يتوقف عن النمو. ولكن في رأيي أن الحب لم يكن موجودًا منذ البداية في معظم

الحالات. لقد أخطأت في فهم ذاتك، وربما كان هناك شيء آخر ـ ربما الجنس، أو الافتتان. ولكن ذلك لن يدوم طويلاً، لأنك بعد ممارسة الجنس مع المرأة ستخفت جاذبيتها الجنسية. وما يقوي الجاذبية الجنسية هو المجهول - وبعدما تتذوق جسد المرأة سيخفت الجاذب الجنسي. وإذا لم يكن حبك سوى انجذاب جنسي، فهو لن يدوم طويلاً.

إذًا، لا تخلط الحب بشيءٍ آخر. إذا كان الحب حقيقيًا - وأعني بذلك أن مجرد وجودك مع الشخص الذي تحب يشعرك بالسعادة والنشوة، وأن مجرد وجود هذا الشخص يحرك في قلبك كل أنواع المشاعر الجميلة - يبدأ قلبك بالغناء، وتشعر بالتناغم مع الحبيب. إن مجرد وجود الآخر يجعلك تشعر بأنكما روح واحدة ولكنكما فردان مستقلان. وهذا هو الحب الحقيقي.

الحب ليس عاطفة جامحة، وليس حالة انفعالية. الحب هو تكامل بين شخصين: ثمة شخص آخر يجعلك دائرة متكاملة. حضوره يقوي حضورك ويعطيك الحرية لتكون ذاتك.

إذًا، لا تعتبر أن الجنس هو الحب، وإلا خدعت نفسك. حاول أن تكون على أتم اليقظة، وعندما يصبح مجرد حضور الآخر، حضوره فحسب، كافيًا ليجلب لك السعادة... يبدأ شيء بالتفتح في داخلك، آلاف من زهرات اللوتس، وعندها تكون في حالة حب. عندها يمكنك أن تتخطى كل الصعوبات التي يخلقها الواقع. وبما أنك في حالة حب حقيقي، فستعتبر أن هذه الصعوبات مجرد تحديات وتتخطاها مسلحًا بهذا الحب الحقيقي. وهذا سيجعل حبك يزداد قوة باستمرار.

الحب هو الأبدية. عندما يولد، لا يتوقف عن النمو مدى الحياة. الحب يعرف البداية ولا يعرف النهاية.

الأهل والطفل

الطفل يولد ليس فقط من خلال التواصل الجنسي البيولوجي ولكن من خلال حب عميق تأملي. والحب التأملي يعني أن ينصهر الاثنان جسديًا وروحيًا أيضًا. يعني أن يضع كل منهما جانبًا غروره الذاتي، وديانته، وعقائده ـ أن يصبح بسيطًا وبريئًا. وإذا ولد الطفل من والدين يتحليان بهذه الخصائص، فلن يكون بالإمكان تطبيعه.

هناك بعض الأمور التي يجب أن تفهمها، وأنا لا أستطيع أن أقدم لك البراهين، لأنه لا يمكن إخضاع هذه الأمور للبراهين. ويجب أن تحصل على البراهين من خلال تجاربك.

على سبيل المثال، تتمتع الأعضاء البيولوجية بالقدرة على أن تسمو على نفسها. يحصل ذلك في بعض اللحظات. وهذه هي أثمن اللحظات في حياة الإنسان، اللحظات التي تعيش من خلالها في منتهى الحرية، والصمت، والطمأنينة الداخلية. وهذه اللحظات تتمثل بالنشوة الجنسية. البيولوجيا تعطيك النشوة الجنسية؛ وهي أثمن هدية تقدمها لك البيولوجيا العمياء. ويمكنك أن تستخدم لحظات الحرية والانصهار هذه للتأمل. ولا يوجد فسحة أكثر ملاءمة من النشوة الجنسية لإطلاق عملية التأمل. حبيبان يشعران كروح واحدة في جسدين... لقد توقف كل شيء في هذه اللحظة، حتى الوقت.

كل ما يجب أن تعرفه هو أن التأمل غير مقيّد بحدود الوقت ويسمو على الغرور الذاتي؛ هو صمت، وسعادة، وفرح عارم، ونشوة غامرة.

لقد حصل ذلك من خلال عملية بيولوجية بين شخصين. وأنا أعتقد أن الإنسان تعرّف إلى التأمل من خلال النشوة الجنسية، لأنه لا يوجد في الحياة لحظة أكثر قربًا للتأمل من النشوة الجنسية.

ولكن جميع الديانات تناهض الجنس. إنها مع التأمل، ولكنها لا توافق على نقطة البداية، على التجربة الأساسية التي تقودك إلى التأمل. وهكذا

فقد أنتجت مجتمعًا إنسانيًا بائسًا - من الناحية المادية والناحية الروحية. لقد درّبوا عقلك ضد الجنس بحيث أنك عندما تمارسه تحت الضغوط البيولوجية، لا يمكنك أن تختبر حالة الحرية التي تمنحها لك النشوة والبعد اللانهائي الذي يمكن أن توفره لك أبدية اللحظة، وعمق التجربة.

وعندما يُحرم الإنسان من سعادة النشوة الجنسية، يصبح غير قادر على معرفة طبيعة التأمل. تكلم عن التأمل، اقرأ عنه، أصغ إلى محاضرات عنه، وقم ببعض الأبحاث عنه... كل ذلك سيخلق فيك مزيدًا من الإحباط لأنك ستفهم كل جوانب التأمل الفكرية، ولكن لن يكون لديك أية تجربة وجودية، ولا حتى قطرة من التجربة التي يمكنها أن تثبت أنه إذا كانت القطرة موجودة، فيجب أن يكون المحيط موجودًا في مكان ما.

القطرة هي البرهان الوجودي لوجود المحيط. والبيولوجيا هي الأكثر رفقًا بك، بالرغم من أنها عمياء. البيولوجيا هي طبيعتك، وهي شديدة الرفق بك. لقد زودتك بكل ما تحتاج إليه لترتقي ولتسمو.

لقد كنت في حالة صراع دائم مع الحمقى طوال حياتي. لا يمكنهم الإجابة على وجهة نظري التي هي في غاية البساطة: عندما نتكلم عن التأمل، يجب أن نقدم دليلاً وجوديًا من خلال تجربة الإنسان. يجب أن نعطي الناس فكرة عما هو ممكن - ممارسة الحب من دون أن نشعر بالذنب، ومن دون أن نتسرع، ومن دون أن نشعر بالخطيئة. هذا أفضل ما يمكن أن نقدمه للناس.

إنه لأمر غريب أن نرى أن بإمكان الناس أن يرتكبوا جريمة قتل من دون الشعور بالذنب - لا قتل شخص واحد، بل ملايين الأشخاص - ولكن ليس بإمكانهم أن يخلقوا طفلاً من دون الشعور بالذنب. مارس الحب فقط عندما تكون مستعدًا لتدخل في حالة تأملية واخلق جوًا تأمليًا عندما تمارس الحب. يجب أن تتعامل مع المكان بقدسية. إنك تحاول أن تخلق حياةً... ما هو الشيء الذي يمكن أن يكون أكثر قداسة من ذلك؟ قم بذلك بأجمل طريقة ممكنة وأنت مليء بالفرح. يجب أن لا تتسرع. وإذا

تلاقى عاشقان في بيئة خارجية مماثلة، وفي فسحة من الصمت في الداخل، يجتذبان روحًا من أسمى الأرواح.

إن حالة الحب التي تجمع بين شخصين هي التي ستحدد خصائص المولود. وإذا خاب أمل الوالدين بالطفل الذي رزقا به، يجب أن يعلما أن هذا الطفل هو ما يستحقانه لأنهما لم يخلقا جوًا يسمح بدخول روح أسمى إلى الرحم - إن طبيعة التواصل الجنسي تحدد طبيعة الروح التي تدخل إلى جسد الجنين.

إذا كان العالم مليئًا بالحمقى والمغفلين، أنت المسؤول - أعني الأهل هم المسؤولون. لم يفكروا، ولم يحضّروا لعملية الإنجاب؛ ولد أطفالهم مصادفة. وليس هناك من جريمة تفوق خلق طفل عن طريق المصادفة.

أعِدّ لعملية الإنجاب. والشيء الأكثر أهمية هو أن تفهم لحظة النشوة: غير محددة بالوقت، وخالية من الأفكار، وهي وعي خالص فحسب. في حالة الوعي الخالص تلك، يمكنك أن تخلق غوتام بوذا. وبالطريقة التي يمارس بها الناس الحب، أستغرب أنه لم يولد كثير من الأشخاص الذين يشبهون أدولف هتلر، أو موسوليني، أو ستالين، أو نادر شاه، أو تيمورلنك، أو جنكيزخان. وأغلب الناس يجتذبون أشخاصًا دون الوسط، وليس أدنى الأشخاص. لأن اجتذاب أدنى الأشخاص يجب أن يكون نتيجة لعملية اغتصاب. ولتجتذب أسمى أنواع الناس، يجب أن تكون ممارستك للحب عملية تأملية.

تبدأ حياة الطفل عندما تدخل الروح إلى داخل الرحم. إذا دخلت الروح خلال فسحة تأملية، يولد طفل غير قابل للتطبيع. فقط الأشخاص دون الوسط هم عرضة للتطبيع.

والزوجان القادران على التأمل أثناء ممارسة الحب ليسا بالزوجين العاديين. سوف يعاملان طفلهما باحترام. فالطفل هو ضيف من عالم المجهول، ويجب أن نعامل الضيف باحترام. والأهل الذين

لا يعاملون أطفالهم باحترام لا بد أن يدمّروا حياتهم. إن احترامكما للطفل، ومحبتكما له، وامتنانكما له لأنه اختاركما كوالدين، من شأنه أن يجعل الطفل يبادلكما جميع مشاعر الاحترام، والمحبة والامتنان.

وعندما تحب شخصًا، لا يمكنك أن تطبّعه. عندما تحب شخصًا، تعطيه الحرية وتؤمّن له الحماية. لا تريده أن يكون نسخة طبق الأصل عنك، بل تريده أن يكون فردًا مميزًا. ولتجعل منه فردًا مميزًا، يجب أن تهيّئ له الظروف المناسبة، والتحديات اللازمة لتحقيق إمكانياته.

يجب أن لا تثقله بأعباء المعرفة، لأنك تريده أن يتوصل إلى معرفة الحقيقة بنفسه. والحقائق المستعارة ليست سوى أكاذيب. إذا لم تختبرها بنفسك، فهي ليست حقائق.

هناك عظة في الإنجيل أود التوقف عندها مفادها أن الله قد يغفر لكل شيء، ولكن ليس لليأس. من كتب هذه العبارة لا بد أنه كان رجلاً على قدر كبير من الفهم. الله لا يغفر لشيء واحد، وهذا الشيء هو اليأس. ولكن الجميع يعيشون حالة يأس - واليأس هو تحطيم للذات. إذا كنت تحب طفلك، يجب أن تساعده ليفرح، ويضحك، ويرقص، ويتمتع بالحياة. ولكن ما يقوم به الأهل هو عكس ذلك.

في أيام الطفولة، عندما كان يأتينا بعض الزوار، كان أهلي يتخلصون مني بإرسالي إلى مكان ما خارج المنزل. وفي اللحظة التي كانوا يتحدثون بها عن إرسالي لمكان ما يجب أن أذهب لمراجعة الطبيب لأنني كنت مصابًا بالرشح - وكنت أقول: «أنا أعرف رشحي وأعرف الطبيب؛ وسوف أذهب في الوقت الذي أختاره. على الأقل لا يمكنني الذهاب في هذا الوقت ـ أكنت مصابًا بالرشح أم بالسرطان، لا فرق في ذلك».

وكانوا يقولون: «ولكن لماذا؟».

فـأجيب: «أنـا أعلـم أن شـخصًا سـيزورنا، وأنتمـا خـائفين». وكانا طبعًا خائفين، لأنني كنت أسبّب لهما الإحراج. فقد يكـون الضـيف شـخصًا هـامًا، وقـد أفعـل شـيئًا يـؤدي إلـى إفساد العلاقة.

ذات يوم كنت أتناول الطعام، وفجأة بدأت بالضحك. علم جميع أفراد العائلة أن شيئًا ما سيحصل، لأنه كان لدينا ضـيف. أبـدى الضـيف اسـتغرابه لضـحكي وسـألني: «لمـاذا تضحك؟».

أجبت: «الضحك لا يحتاج إلى سبب. في الواقع، أنا يجب أن أسـألكم: لمـاذا تجلسـون جميعـًا والانقبـاض بـادٍ علـى وجوهكم؟ الضحك له قيمة حقيقية؛ بينما الانقباض لا قيمة له على الإطلاق. ومنذ مجيئك، بدا الحزن والانقباض على وجوه أفراد عائلتي. أنا لا أفهم ما هي مشكلتك. هل تخلق هذا الجو البائس حيثما تحل؟».

وقد أبدأ فجأة بالرقص. عندها تتوقف المحادثة بين أهلي والضيف، لأنني كنت أرقص في وسطهم. وكانوا يقولون لي: «يمكنك الذهاب إلى الخارج واللعب».

فأقول: «أنا أعرف أفضل بقعة للرقص. إذا قررتم الذهاب إلى الخارج، يمكنكم إن تذهبوا وتأخذوا معكم محادثتكم السخيفة - والتي لا تحمل أي معنى! الحديث عن الطقس والفصول... جميعكم تعرفون، حتى أنا أعرف. ما الفائدة من ذلك؟.

فـي المحـادثات المـهذبة، لا يناقش النـاس عـادة مواضـيع خلافيـة تجنبـًا لخلـق جـو عـدائي. ولكنـهم يتحـادثون بمواضيع غير خلافية - الطقس... بالطبع لا شيء خلافي في الحديث عن الطقس. إذا كان باردًا، فهو بارد؛ وإذا كان حارًا، فهو حار.

أنا أرقص هنا فقط لأجعلكم تدركون أنكم تضيّعون وقتكم. والأفضل لكم أن تنضموا إليّ في الرقص».

إن الطفل الذي لا يمكن تطبيعه يسبّب الإحراج للأهل بطرق عديدة. ولكن إذا كان الأهل محبين، فإنهم مستعدون للقيام بـأي شـيء مـن

أجـل الطفـل. حتـى ولـو جلـب ذلـك لـهم الإحراج. إن الطفل ينمو ليصبح فردًا مميزًا. وسيساعدونه لـــيبقى حــرًا، ومنفتحــًا، ومســتعدًا لمواجــهة المســتقبل المجهول.

شـارك الطفـل بجمـيع تجـاربك. أخبـره انـه وُلِد فـي لحظـة نشوة يسودها الحب، وأن الحب هو أعظم هبة من الوجود. وأنه يجب أن يجعل الحب محور حياته، لأنه فقط من خلال الحب يمكن أن تتجاوز الطبيعة العمياء إلى عالم الطبيعــة الســامية، حـيث لا وجـود للعمـى، وحـيث تصـبح متنبئًا.

نعـم، مـن الممكـن أن نحصـل علـى طفـل حـر وغـير قـابل للتطبيع، ولكن هذا غير ممكن من خلال البيولوجيا فقط. هذا ممكن إذا تحلّيت بما يكفي من الشجاعة لتجعل حبك معبدك، والمكان الذي تمارس فيه التأمل. عندها ستجتذب روحًا تكمن فيها الفرادة المتميزة. وبعد ذلك أعط طفلك أقصى درجات الحرية حتى ولو تسبب ذلك بإزعاجك. إن حرية طفلك هي في غاية الأهمية، لأنه مستقبل البشرية.

حيــاتك أصــبحت فــي الماضــي - مــا المشـكلة لـو سـبّب المستقبل لك بعض الإزعاج؟ ماذا غنمت من الماضي؟ أنت فــارغ، أنــت شــحاذ. هـل تريـد أن يصـبح طفلـك فـارغًا وشحاذًا؟ هذا ما يحاول أن يفعله معظم الأهل - أن ينتجوا نسخة طبق الأصل عنهم.

دع طفلك يكوّن شخصيته الخاصة.

قــد يسـبّب لـك ذلـك بعـض الخـوف والقلـق، ولكـن هـذه مشكلتك. لا تكبح حرية طفلك. إن أي طفل تعطيه الحرية، سـيكنّ لـك الاحتـرام والامتنـان مـدى العمـر. الآن، يحصـل عكس ذلك: الأطفال يتملكهم الغضب، ويشعرون بالكراهية تجاه أهاليهم، لأن ما فعلوه بهم لا يغتفر.

إذًا، عندما تعطي الطفل حريته، فإنك تسمح له بأن يكون ذاته الحقيقية، وتتقبله على طبيعته، وبذلك ستخلق طفلاً يكنّ لك المحبة والاحترام. بذلك تكون قد تعديت كونك والــدًا عـاديًا، أو والـدة عاديـة، لقـد

كنت مانحًا للحياة، وللحرية، وللشخصية المميزة. وسوف يحمل طفلك هذه الذكريات الجميلة في قلبه إلى الأبد، وامتنانه لك سيجعله بالتأكيد يحقق للأجيال اللاحقة ما حققته له.

لو تصرّف كل جيل بمحبة واحترام نحو الأطفال، وأفسح لهم الحرية لينمو طبيعيًا، لزالت هذه الهوة بين الأجيال.

من المستحسن دائمًا أن نتوصل إلى تفاهم مع الأهل. هذا أمر أساسي. لقد اعتاد جوردجييف Gurdjief أن يقول: «إذا لم يكن التواصل بينك وبين الأهل جيدًا، فقد أضعت حياتك». لأن العلاقة بين الأهل وأولادهم عميقة الجذور.... وإذا استمرت مشاعر الغضب بينك وبين أهلك، فلن تشعر بالارتياح مدى الحياة. أينما كنت، ستشعر ببعض الذنب. ولن تتمكن من نسيان هذه المشاعر ولن تتمكن من المسامحة. إن علاقة الولد بالأهل ليست علاقة اجتماعية فحسب، فلقد أتى إلى الوجود من خلالهم وهو جزء منهم، وفرع من هذه الشجرة، يشاركهم نفس الجذور.

عندما يُتوفّى الأهل، تشعر أن شيئًا في أعماقك مات بموتهم. عندما يتوفى الأهل، تشعر وللمرة الأولى أنك وحيد، وأنك فقدت جذورك. إذًا، بينما هم على قيد الحياة، يجب أن تفعل كل ما في وسعك لخلق جو من التفاهم والتواصل بينكم. بذلك تتمكن من حل جميع الأمور العالقة وتشعر بالارتياح. وهكذا لن تشعر بالذنب. عندما يفارق الحياة.

علاقة الحب تبتدئ مع الأهل وتنتهي معهم. وهي تشكّل دائرة متكاملة. إذا انكسرت الدائرة في مكان ما، ستشعر بعدم الارتياح مدى الحياة. نحن نشعر بالارتياح إذا تمكنا من التواصل مع أهلنا. والتوصل إلى ذلك هو من أصعب الأمور لوجود هوة كبيرة بيننا وبينهم: الأهل لا يعتبرونك ناضجًا مهما تقدمت بالعمر، ولذلك فهم لا يتواصلون معك، بل يأمرونك: «افعل هذا»، «لا تفعل ذلك». لا يعيرون حريتك، وشخصيتك، أو وجودك أي اهتمام.

يشعر الطفل بالانزعاج من البداية، لأنه عندما يأمره الأهل بالقيام بعمل ما، يشعر أن حريته تعرضت للكبح والقمع. إنه يستاء ويقاوم، وتبقى هذه المقاومة جرحًا يعتمل في داخله. وتكبر الهوة بينه وبين الأهل ولكن عليه أن يزيلها. إذا تمكنت من ردم الهوة التي تفصل بينك وبين أمك، ستشعر أنك ردمت الهوة بينك وبين العالم بأكمله. ستشعر أنك أكثر تجذرًا في الأرض. وإذا تمكنت من ردم الهوة بينك وبين أبيك، ستشعر أنك طاولت السماء. الأب والأم يرمزان إلى السماء والأرض. والإنسان كالشجرة، يحتاج إلى الأرض والسماء.

عندما يجتمع الحب والوعي يتحقق الوجود

الحب هو عامل أساسي في النمو الروحي، وهو يعمل كالمرآة. ومن الصعب أن ترى ذاتك على حقيقتها إذا لم تنظر إلى وجهك في عيني شخص يحبك. وكما تنظر إلى المرآة لترى وجهك المادي، يجب أن تنظر إلى مرآة الحب لترى وجهك الروحي. الحب هو مرآة روحية. إنه يغذيك، ويجعلك متكاملاً، ويحضّرك للرحلة الطويلة. إنه يذكّرك بوجهك الأصلي. وفي لحظات الحب العميق يتسنى لك أن تلمح وجهك الأصلي، بالرغم من أن هذه اللمحات تأتي على شكل انعكاسات كما هي الحال عندما تعكس مياه البحيرة الصامتة ضوء القمر. الحب يعمل كالبحيرة. والقمر الذي ينعكس نوره في البحيرة هو بداية البحث عن القمر الحقيقي. وإذا لم تدرك أن صورة القمر منعكسة في البحيرة، فقد لا تبدأ البحث عن القمر الحقيقي أبدًا. وسوف تذهب مجددًا إلى البحيرة للبحث عن القمر لأنك تعتقد في بادئ الأمر أن القمر الحقيقي هو في أعماق البحيرة. وسوف تغطس مرارًا إلى أعماق البحيرة وتعود صفر اليدين؛ لن تجد القمر هناك.

في أحد الأيام قد تفتكر أن هذا القمر هو مجرد انعكاس. وهذا تبصّر رائع. عندها تستطيع أن تنظر إلى الأعلى. أين هو القمر إذا كان ما تراه

انعكاسًا فقط؟ إذا كان انعكاسًا، يجب أن تنظر في الاتجاه المعاكس. كان الانعكاس في قعر البحيرة - ويجب أن يكون القمر الحقيقي في الأعلى. وللمرة الأولى تنظر إلى الأعلى، ثم تبدأ الرحلة الطويلة.

الحب يعطيك لمحات التأمل، ويعطيك انعكاس القمر في البحيرة وليس القمر الحقيقي. إذًا الحب لن يُشبع حاجتك. وهو في الواقع، يسبّب لك عدم الرضى وعدم الاكتفاء. يجعلك واعيًا لكل ما يمكن أن تحصل عليه، ولكنه لا يقدم لك أي شيء. إنه يزيد من إحباطك ـ وحالة الإحباط هذه هي التي تدفعك إلى العودة إلى ذاتك الحقيقية. والمحبّون فقط يعرفون فرحة التأمل. أما أولئك الذين لم يعرفوا الحب والإحباط الذي يسبّبه الحب، والذين لم يغطسوا إلى أعماق بحيرة الحب بحثًا عن القمر، فلن ينظروا إلى الأعلى ليشاهدوا القمر الحقيقي. لن يصبحوا واعين لوجوده.

الشخص الذي يحب لا بد أن يصبح متديّنًا عاجلاً أم آجلاً. ولكن الشخص الذي لا يحب - السياسي على سبيل المثال، الذي لا يمكنه أن يحب أي إنسان، لأنه يحب القوة فقط - لن يصبح متدينًا أبدًا. والشخص المهووس بالمال ـ الذي لا يحب سوى المال - لن يصبح متدينًا أبدًا. إنه مهووس بالتملك. يمكنه أن يمتلك المال، ولكن لا يمكنه أن يمتلك الإنسان. إن الإنسان الحي سيقاوم أية محاولة تملك بأية وسيلة ممكنة. وليس هناك من يرضى بفقدان حريته.

الحب والحرية هما من أهم القِيَم، ولكن الحرية أعلى مرتبة من الحب. لهذا السبب يرغب الإنسان أن يكون محبوبًا لا أن يكون أسير الحب. وإذا شعر الإنسان أن الحب يكبح حريته فإنه سيشعر بالإحباط. وعندما تحاول أن تتملّك الآخر، يصبح الحب مستحيلاً لأن الآخر سيبدأ بالابتعاد عنك. وكلما قلّت رغبتك بالتملك اقترب منك الآخر. وإذا لم يكن لديك أية رغبة بالتملك، عندها تنساب الحرية بين المحبين ويتكوّن الحب الرائع.

أولاً، محاولة تملك شخص آخر ستبوء بالفشل لأن الإحباط الـــذي ســـينتج عـــن تلـك المحاولـة سـيعيدك إلـى ذاتـك الحقيقية. ثانيًا، إذا أدركت عدم جدوى محاولة التملك، وإذا أدركت أن الحرية هي قيمة أعلى مرتبة من الحب، وأسمى من الحب بدرجات، فإن هذا الإدراك سيعيدك إلى ذاتك الحقيقة وستدفعك الحرية إلى الوعي والتأمل.

الحرية هي جانب آخر من جوانب التأمل. وأنت إما أن تبدأ بتحقيق حريتك وتصبح واعيًا، وإما أن تبدأ بتحقيق وعيك وتصبح حرًا. لا يمكن فصل الوعي عن الحرية. إن الحب رباط دقيق، ولكنه تجربة في غاية الأهمية لتحقيق النضج.

هنـاك تعـريف جميـل للحقيقـة مـن خـلال الحـب فـي كتـاب مـــارجري ويليـــامس Margery Williams الـرائع «الأرنــب المخملي».

«مـا هـو الحقـيقي؟» سـأل الأرنـب «هـل يعنـي ذلـك وجـود أشياء تصدر أزيزًا وطنينًا في داخلك ومفتاحًا لتعبئتك؟».

«الحقـيقي لـيس لـه علاقـة بمـا أنـت مصـنوع منـه»، قـال الحصان الجلدي (لعبة). «الحقيقي هو شيء يحصل لك. عندما يحبك طفل لمدة طويلة، لا ليتلهى بك كلعبة فقط، ولكن لكي يحبك حقًا، وعندها تصبح حقيقيًا».

«وهل يؤلمك ذلك؟» سأل الأرنب.

«بعض الأحيان» أجاب الحصان الجلدي لأنه كان صادقًا على الدوام. «عندما تكون حقيقيًا، لا تمانع أن تتألم بعض الأحيان».

«وهل تصبح حقيقيًا مرة واحدة، أم أن ذلك يحصل بصورة تدريجية؟» سأل الأرنب.

«لا يحصـل ذلـك مـرة واحـدة»، أجـاب الحصـان الجلـدي. «تصـبح حقيقيـًا بصـورة تـدريجية، وذلـك يتطلـب وقتـًا طـــويلاً. لـــهذا السـبب لا يحصـل ذلـك للأشـخاص الـذين ينكسرون بسرعة،

والذين لديهم أطراف حادة، والذين هم بحاجة لأن يُحافظ عليهم بعناية. وعلى وجه العموم، في الوقت الذي تصبح فيه حقيقيًا، يكون معظم شعرك قد تساقط، وجحظت عيناك، وتفككت مفاصلك، وأصبحت في حالة مزرية. ولكن هذه الأمور لا تعني لك أي شيء على الإطلاق، لأنك عندما تصبح حقيقيًا لا يمكن أن تكون بشعًا إلا بنظر الأشخاص الذين لا يفهمون الحقيقي... عندما تصبح حقيقيًا، لا يمكن أن تصبح غير حقيقي مجددًا. هذه الحالة تدوم إلى الأبد».

الحب يجعلك حقيقيًا؛ وإلا فإنك تبقى خيالاً، وحلمًا لا يحتوي أية مادة جوهرية في داخله. والحب يضفي عليك مادة جوهرية، ويجعلك متكاملاً ومتوازنًا. ولكنك الآن في منتصف الرحلة الطويلة؛ ويجب أن تتمم النصف الآخر عبر التأمل، عبر الوعي. لكن الحب يحضّرك للنصف الثاني. والحب هو البداية والوعي هو النهاية، وما بين الاثنين تصل إلى الله. بين الحب والوعي، بين هاتين الضفتين، ينساب نهر الوجود.

لا تتحاشَ الحب. عش هذه التجربة بكل آلامها. نعم، إنها تجربة مؤلمة، ولكن إذا كنت تحب فعلاً، يجب أن لا تخشى الألم. والواقع أن كل هذه الآلام ستزيدك قوةً. وقد يكون الألم مبرحًا بعض الأحيان، ولكن ذلك ضروري ليخلق فيك روح المجابهة والتحدي، وليجعلك واعيًا ويقظًا. إن الحب يهيئ الأرض، وفي تربة الحب فقط تنمو بزرة التأمل.

إذًا، أولئك الذين يهربون من دنياهم بسبب الخوف، لن يتمكنوا من الوصول إلى حالة التأمل إلى الأبد. هذا مستحيل - لأنهم لم يكتسبوها. عليهم أولاً أن يكتسبوها في الحياة؛ وأن يهيئوا التربة، والحب وحده هو الذي يهيئ التربة.

انطلاقًا من ذلك أنا أصرّ على أن لا يتخلّى الإنسان عن دنياه. عش في هذه الدنيا، جابه تحدياتها، تقبّل مخاطرها، وجراحها، وآلامها. لا تتجنّبها، لا تحاول أن تجد طريقًا مختصرة، لأنها غير موجودة. إن الحياة كفاح، وصعوبات، ومشقات، ولكن هذه هي الطريق إلى القمة.

إن شعورك بالفرح سيكون أكثر حدة مما سيكون عليه لو أنزلت على القمة بواسطة طائرة مروحية، لأنك عند ذلك ستصل إلى القمة وأنت عديم النضج؛ لن تستمتع بذلك. فكّر بالفرق بين الطريقين. أنت تبذل كل جهدك لتبلغ قمة إيفرست. المهمة خطرة - وهناك إمكانية أن لا تصل إلى القمة، فالطريق شاقة ومحفوفة بالأخطار، وقد يكون الموت بانتظارك. الموت يتربص بك في كل خطوة، واحتمالات الفشل تفوق احتمالات النجاح. ولكن كلما اقتربت من القمة، كبر الفرح في داخلك وشعرت أنك تحلّق في الأعالي. لقد وصلت إلى القمة بجهدك، ودفعت الثمن. وكلما ارتفع الثمن، عظمت الفرحة. ثم تخيّل - أنك أُنزلت على القمة بواسطة مروحية. سوف تقف على القمة وتبدو بمنتهى الحماقة والسخافة. وسينهي الأمر خلال دقائق، وسوف تقول: «لقد رأيت القمة، لا يوجد أي شيء آخر هنا!».

إن الرحلة تخلق الهدف. وليس الهدف أن تجلس على القمة في نهاية الرحلة. الرحلة تخلق الهدف في كل خطوة. والرحلة هي الهدف. والرحلة والهدف ليسا بشيئين منفصلين. والهدف والوسيلة ليسا بشيئين منفصلين. والوسيلة والهدف يتكاملان.

لذلك لا تُضع أية فرصة في الحياة، وكن حيويًا، ومسؤولاً، وملتزمًا. لا تكن جبانًا. واجه الحياة، وجابهها. بعد ذلك وببطء سيتبلور شيء في داخلك.

نعم، إن ذلك يتطلب وقتًا. والحصان الجلدي محق: «على وجه العموم، في الوقت الذي تصبح فيه حقيقيًا، يكون معظم شعرك قد تساقط، وجحظت عيناك، وتفككت مفاصلك، وأصبحت في حالة مزرية. ولكن هذه الأمور لا تعني لك أي شيء على الإطلاق، لأنك عندما تصبح حقيقيًا لا يمكن أن تكون بشعًا إلا بنظر الأشخاص الذين لا يفهمون الحقيقي... عندما تصبح حقيقيًا، لا يمكن أن تصبح غير حقيقي مجددًا. هذه الحالة تدوم إلى الأبد».

ولكـن علـى الإنسـان أن يـدفع الثمـن. لا يمكـن للإنسـان أن يحصل على أي شيء من دون ثمن في الحياة. وإذا حصل على شيء من دون ثمن، سيكون لا قيمة له. يجب أن تدفع الثمن، وكلما كان الثمن مرتفعًا، كان المردود مرتفعًا. إذا خـاطرت بحيـاتك مـن أجـل الحـب، سـتبلغ نـهاية رائعـة. سـيعيدك الحـب إلـى ذاتـك الحقيقيـة، وسـيعطيك بعـض انعكاسات التأمل وأولى لمحات التأمل تحصل عبر الحب. بعد ذلك تنبعث في داخلك رغبة عارمة في بلوغ التأمل، لا كلمحات خاطفة وإنما كحالة دائمة تحيا فيها إلى الأبد.

إن تجربـة النشـوة الناتجـة عـن الحـب هـي أول تجـارب «السـامادي»، وأول تجـارب النشـوة. لكنـها سـتجعلك أكثـر عطشًا. والآن أنت تعرف ما يمكنك أن تحصل عليه، ولا يمكنـك أن تكتفـي بالأشـياء الـدنيوية. لقـد اخترقتـك المقدسات، ووصلت إلى قلبك. وقد لمس الله قلبك وشعرت بهذه اللمسة. والآن تريد أن تعيش هذه اللحظة إلى الأبد، وتريـد أن تصـبح حيـاتك بأكملـها - وإذا لـم يتحقـق ذلـك سيبقى الإنسان منفصلاً عن الحقيقة.

الحب يعطيك فرحًا عظيمًا من ناحية، ومن ناحية ثانية يجعلك متعطشًا للفرح الأبدي.

الوقوف على مفترق الطرق
عندما تخترق الأبدية الزمن

الزمن هو الوقت الذي نحيا فيه - وهو أفقي. هو خط يجمع بين عدة نقاط من أ إلى ب إلى ج إلى د. والأبدية عمودية. وهي ليست من أ إلى ب أو من ب إلى ج. ولكن من أ إلى مزيد من أ إلى مزيد من أ. إنها تذهب إلى الأعلى. ومن اللحظات النادرة، تلك التي تخترق فيها الأبدية الزمن، لأن ذلك يحصل فقط عندما يبلغ الإنسان أقصى حالات التأمل والوعي الذاتي.

فجأة تصبح واعيًا أنك على مفترق طرق. طريق تذهب باتجاه أفقي، دون الوسط، عادية، تافهة، وتقود إلى الموت. ذلك أن الخط الأفقي يتحرك باستمرار نحو القبر. وطريق تذهب باتجاه عمودي، صعودًا نحو الأبدية.

سأخبرك قصة تحوي كثيرًا من المعاني:

رأى أحد الملوك العظماء في حلمه خيالاً فتملّكه الخوف وسأل الخيال: «ماذا تريد؟».

أجابه الخيال: «لم آتِ لأطلب أي شيء. أتيت فقط لأعلمك أنه في هذا المساء وفي المكان المناسب، عندما تغيب الشمس، ستلفظ آخر أنفاسك. عادةً أنا لا أخبر الناس، ولكنك إمبراطور عظيم، ولقد أتيت لأعبر لك عن احترامي».

تملّك الخوف الإمبراطور لدرجة أنه صحا منه نومه وهو يتصبب عرقًا، غير قادر على التفكير بما يفعله. كل ما تمكن من القيام به هو استدعاء الرجال الحكماء من المنجّمين والعرّافين ليفهم معنى الحلم - يُعتقد أن تحليل الأحلام ابتدأ مع سيغموند فرويد، وهذا ليس صحيحًا، لأنه ابتدأ مع هذا الإمبراطور منذ حوالي الألف سنة!

في منتصف الليل، جَمَعَ الإمبراطور جميع العرافين وقارئي الطالع في العاصمة وأخبرهم الحلم. كان الحلم بسيطًا، ولكن هؤلاء الحكماء أحضروا معهم كتبهم وراحوا يتجادلون. أحدهم يقول: «لا يمكن أن يكون هذا هو المعنى»، فيردّ الآخر: «لا بد أن هذا هو المعنى».

أضاعوا كثيرًا من الوقت وابتدأت الشمس بالشروق. وكان للملك خادم مُسنّ يعامله وكأنه والده لأن والده توفي وهو صغير السن وجعل الخادم وصيًا عليه وأوصاه بأن يهتم به حتى يبلغ سن الرشد لكي لا يُضيّع المملكة. وقد عمل الخادم بوصية الملك الأب وأصبح الآن رجلاً مسنًا. اقترب الخادم من الإمبراطور وقال له: «أريد أن أخبرك بأمرين. لقد أصغيت لنصائحي لسنين طويلة، وأنا لست متنبئًا ولست منجمًا ولا أستشير الكتب. أنا واثق من أمر واحد، وهو أنه عندما تشرق الشمس، يقترب المغيب. وهؤلاء الرجال الذين يُدعون أصحاب المعرفة لم يتوصلوا إلى خلاصة مفيدة منذ قرون. خلال يوم واحد... سيتجادلون ويتناقشون، وسيدحض كل منهم مقولة الآخر، ولكن لا يمكنك أن تأمل بأن يتوصلوا إلى أية خلاصة بالإجماع.

دعهم مستمرين في الجدل والنقاش. وما أقترحه عليك هو أن تمتطي حصانك ـ وأنت تملك أفضل حصان في العالم ـ وتغادر هذا القصر بأسرع ما يمكن. أنا واثق من هذا الأمر، وهو أن عليك أن لا تكون هنا؛ يجب أن تكون في مكان بعيد».

كان الاقتراح منطقيًا ولو أنه كان في غاية البساطة. ترك الإمبراطور الرجال الحكماء وهم يتجادلون - لم يلاحظوا حتى غيابه ـ وامتطى حصانه. وكان بالتأكيد يملك حصانًا يساوي مملكة. وكان شديد الفخر بهذا الحصان ويكنّ له مشاعر العطف والمحبة. بعد أن امتطى الحصان قال له: «يبدو أن ساعتي اقتربت. هذا الخيال الذي رأيته في المنام لم

يكن سوى الموت. يجب أن تأخذني بعيدًا عن هذا القصر بقدر ما تستطيع».

أومأ الحصان برأسه ونفّذ ما طلب منه. وبحلول المساء، عند المغيب، كانا على بُعد مئات الأميال من المملكة. لقد دخلا مملكة أخرى متنكرين. وكان الإمبراطور في غاية السعادة. ترجّل عن الحصان وربط رسنه بشجرة وقال له «شكرًا يا صديقي، الآن سأتدبر أمر طعامك وطعامي. لقد أثبت صحة كل القصص التي رويت عنك. لقد قطعت هذه المسافة بسرعة لا تُصدّق، كأنك غيمة تتنقل في السماء».

وبينما كان يربط رسن الحصان بالشجرة، ظهر الخيال القاتم وقال للإمبراطور: «كنت أخشى أن لا تتمكن من الوصول في الموعد المحدد، ولكن حصانك رائع. أنا أود أن أقدم له الشكر ـ لقد أحضرك إلى المكان المطلوب وفي الوقت المحدد. لقد ساورني القلق - كنت تقطن في مكان بعيد، فكيف لي أن أحضرك بهذه السرعة؟ لقد لعب الحصان دور القدر».

إنها قصة غريبة، ولكنها تُظهر أنه عندما تسير في خط أفقي، مهما كانت سرعتك، سينتهي بك الأمر في قبر. ومن الغريب أن القبور تقترب منا في كل لحظة - حتى ولو لم نتحرك، فإن القبور تتحرك باتجاهنا. إن خط الزمن الأفقي يمثل فنائية الإنسان.

ولكن لو تمكنت من الوصول إلى أعماق ذاتك، إلى الصمت الذي يسود في مركزك الداخلي، لرأيت طريقين: إحداهما أفقية، والثانية عمودية.

سوف تفاجأ إذا أخبرتك أن الصليب المسيحي، ليس مسيحيًا في الأصل على الإطلاق. إنه رمز شرقي وآري قديم - الصليب المعقوف. ولهذا السبب اختار أدولف هتلر، الذي كان يؤمن بتفوّق العرق الآري، الصليب المعقوف رمزًا له. والصليب المعقوف ليس سوى خطين متقاطعين. في الهند، من غير أن يدروا السبب، يبدأ رجال الأعمال سنتهم الجديدة برسم صليب معقوف على دفاتر

الحسابات. والصليب المسيحي هو جزء من الصليب المعقوف ولكنه يرمز إلى نفس الشيء: العمودي والأفقي. يدا المسيح في وضع أفقي؛ ورأسه وجسده في وضع عمودي.

في لحظة تأمل، ترى فجأة أن بإمكانك أن تتحرك في اتجاهين - إما أفقيًا وإما عموديًا. الاتجاه العمودي يرمز إلى الصمت، والسعادة، والنشوة؛ والاتجاه الأفقي يرمز إلى اليدين، والعمل، والعالم الدنيوي.

عندما يجد الإنسان نفسه في مفترق طرق، لا يمكنه إلا أن يبدي اهتمامه ودهشته بالخط العمودي. إنه يعرف الخط الأفقي، ولكن الخط العمودي يفتح له أبواب الأبدية حيث لا وجود للموت، وحيث يصبح الإنسان أكثر فأكثر جزءًا من الوجود الكوني - حيث يصبح محررًا من كل القيود، حتى قيد الجسد.

لقد تعوّد غوتام بوذا أن يقول: «الولادة ألم، والحياة ألم، والموت ألم». وكان يقصد بذلك أنه عندما نتبع بحركتنا الخط الأفقي، سنتألم ونشقى باستمرار. ولا يمكنك أن تتوقع أن تكون حياتك رقصًا وفرحًا متواصلاً - وإذا كان ذلك كل ما تتوقعه من الحياة، فالانتحار هو الحل الوحيد. هذه هي الخلاصة التي توصلت إليها الفلسفة الغربية الوجودية المعاصرة - فلسفة جان بول سارتر، وجاسبرز Jaspers، وهايدغر Heidegger، وكيرغارد Kierkegaard، وآخرين - أن لا معنى للحياة. على المستوى الأفقي، هذا صحيح، لأنها ليست سوى معاناة، وألم، ومرض، وشيخوخة. كما أنك مسجون داخل قفص صغير هو الجسد، بينما وعيك واسع بقدر اتساع الكون.

عندما تكتشف الخط العمودي، تبدأ بالتحرك على هذا المستوى. وهذا لا يعني أن عليك أن تتخلى عن العالم الدنيوي، ولكنه يعني بالتأكيد أنك لست من هذا العالم، لأنه عالم سريع الزوال ولا أهمية له. كما أنه لا يعني أن تهرب إلى الجبال والأديرة. وإنما يعني فقط أنه عليك أن تبدأ - حيثما أنت - حياة وعي ذاتي لم تكن ممكنة في السابق.

في السابق كنت منفتحًا باتجاه العالم الخارجي، أما الآن فقد أصبحت منغلقًا على ذاتك. وعندما تتوصل إلى الخط العمودي، سيخترق النور ظلمة الخط الأفقي، ويبدأ التنوّر.

سوف تصبح شخصًا مختلفًا من الداخل ومن الخارج. سوف تكون في هذا العالم ولكن العالم لن يكون جزءًا منك. سوف تتبخر جميع الرغبات، والطموحات، ومشاعر الغيرة. ولن تحتاج إلى مجهود كبير للتخلص منها، فمجرّد انتقالك إلى الخط العمودي سيتكفل بذلك، لأنها لا يمكن أن توجد على الخط العمودي. إنها تتواجد فقط في ظلمة الخط الأفقي حيث الجميع يتنافسون، وتتملكهم الشهوة، وحب السلطة، والرغبة في السيطرة.

كل هذه السخافات تختفي على الخط العمودي، فتصبح خفيفًا، معدوم الوزن، مثل زهرة اللوتس ـ إنها في الماء، ولكن الماء لا يلامسها. تبقى في العالم الدنيوي ولكن العالم لا يؤثر فيك. وعلى عكس ذلك، تصبح أنت من يؤثر في العالم - ليس من خلال جهد متعمد من قبلك بل من خلال حضورك، مجرد وجودك، وسحرك، وجمالك.

هذا الحضور الساحر الجميل سيرحّب به أصحاب القلوب المنفتحة، وسيتحاشاه أصحاب القلوب المنغلقة الذين يخشون التواصل مع إنسان كهذا. ولسوف يختلقون آلاف الأعذار ليتحاشوا التواصل معه، ولكن السبب الرئيسي هو خوفهم من أن ينكشف أمرهم.

والإنسان الذي يتحرك من خلال الخط العمودي يصبح كالمرآة. إذا اقتربت منه سوف ترى وجهك الحقيقي - سوف ترى بشاعتك وطموحاتك.

قد تساعد قصة أخرى في إيضاح الفكرة:

في صباح باكر، دخل أحد المتسوّلين حديقة الملك حاملاً في يده «طاسة الشحاذة». وكان من عادة الملك أن يقوم بنزهة صباحية في هذا الوقت. ولقد اختار المتسول هذا الوقت وهذا المكان لأنه يعلم أنه الوقت

الوحيد الذي يتمكن فيه من مقابلة الملك بعيدًا عن أنظار الحاشية التي قد تمنعه من ذلك، وهو الوقت الذي يمضيه الملك وحيدًا في حالة صمت، يتأمل جمال الطبيعة. وعندما صادف الملك الشحاذ قال له:

«هذا ليس الوقت المناسب... أنا لا أقابل أحدًا».

قال المتسول: «أنا شحاذ. من المستحيل أن يتمكن شحاذ من مقابلتك وأنت مُحاط بحاشيتك. أنا أصرّ أن تستمع إلي الآن».

فكّر الملك أن يتخلص منه بسرعة، فقال له: «ماذا تريد؟ قل لي ماذا تريد وستحصل عليه. لا تعكّر الصمت الذي أنعم به في جلستي الصباحية».

قال المتسول: «فكر مرتين قبل أن تمنحني ما أريده».

قال الملك: «يبدو أنك غريب الأطوار. في بادئ الأمر، دخلت الحديقة من غير إذن وألحّيت أن أستمع إليك. والآن أقول لك إنني سأعطيك ما تريده. لا تعكر صمتي وصفائي الداخلي».

ضحك المتسول وقال: «الصفاء الداخلي الذي يمكن تعكيره ليس بالصفاء الداخلي. والصمت الذي يمكن تعكيره هو حلم وليس حقيقة».

عندها نظر الملك إلى المتسول. لقد قال شيئًا في غاية الأهمية. وخاطب الملك نفسه قائلاً: «يبدو أنه ليس متسوّلاً عاديًا. هذا أمر أكيد». ثم قال المتسول ثانيةً: «أريدك أن تفكر بالأمر مجددًا، لأن ما أريده هو أن تملأ طاسة الشحاذة خاصتي بأي شيء، ثم أدعك وشأنك. ولكن يجب أن تكون الطاسة ممتلئة».

ضحك الملك وقال: «أنت رجل مجنون، تعتقد أنه ليس بإمكاني أن أملأ طاستك؟» ثم نادى المسؤول عن الخزينة وقال له: املأ طاسته بالألماس والحجار الثمينة».

لم يكن المسؤول عن الخزينة على علم بما يجري وتساءل: من يملأ طاسة شحاذ بالألماس؟ لكن المتسوّل نبّه المسؤول عن الخزينة قائلاً:

«إذا لم تمتلئ الطاسة، لن أغادر هذا المكان». كان ذلك تحديًا بين الملك والمتسول.

تلا ذلك واقعة غريبة.... في الوقت الذي كان فيه الألماس يدخل طاسة المتسول، كان يختفي على الفور. ولقد بدا الملك في غاية الإحراج ولكنه قال: «مهما حصل، حتى ولو خسرت كل محتويات الخزينة، لا يمكن أن أسمح لهذا المتسوّل أن يهزمني، لقد هزمت أعظم الملوك». وهكذا اختفت جميع محتويات الخزينة! بلغ الخبر عاصمة المملكة وتجمع آلاف الناس ليروا ماذا يجري، إذ لم يسبق لهم أن رأوا ملكًا بهذه الحالة من الانهيار العصبي.

في النهاية، عندما اختفت كل محتويات الخزينة وكانت الطاسة لا تزال فارغة، انحنى الملك إلى قدمي المتسول وقال: «يجب أن تعذرني، لم أفهم ما حصل، لم أفكر بهذه الأشياء سابقًا. لقد بذلت كل جهدي، ولكن الآن... لم يعد لدي أي شيء أقدمه لك. إذا أخبرتني بسرّ هذه الطاسة، سأعرف أنك غفرت لي. إنها طاسة غريبة - بعض أحجار الألماس كانت تكفي لملئها، ولكنها استنفدت كل محتويات الخزينة».

ضحك المتسول وقال: «لا داعي للقلق. هذه ليست «طاسة شحاذة». لقد وجدت جمجمة بشرية وصنعت منها هذه الطاسة. لم تنس هذه الجمجمة عاداتها القديمة. هل ألقيت نظرة على طاستك، على رأسك؟ أعطه أي شيء وسيطلب المزيد والمزيد. يعرف كلمة واحدة هي المزيد. إنه فارغ على الدوام، ويمارس الشحاذة على الدوام».

الشحاذون وحدهم يتواجدون على الخط الأفقي، لأنهم دائمًا يطلبون المزيد ولا يمكن إشباعهم - وهذا لا يعني أنك لا تحصل على ما تريد، ولكن عندما تحصل على ما تريد، تريد المزيد والمزيد. ولا يمكنك إشباع المزيد والمزيد. هذا مستحيل. وهذا هو الخط الأفقي، خط المزيد والمزيد.

ما هو الخط العمودي؟ هو أن نكون أقل وأقل، لنصل إلى الفـراغ الكـامل، لـدرجة أن نكـون لا أحـد. أن نكـون مجـرد توقيع لاسمنا - ليس حتى على الرمل، بل على الماء؛ لم تنته بعد من توقيع اسمك، وقد اختفى. إنسان الخط العمودي هو المتنسك الحقيقي، الذي يشعر بأقصى السعادة لكونه لا أحد، ولأنه يعيش حالة نقاء وفراغ داخلية، حالة عدمية Nothingness، حالة تناغم مع الكون.

عندما تتحقق حالة التناغم مع الكون هذه، أنت لا وجود لك بالمعنى المتعارف عليه، ولكن ولأول مرة، أنت الكون بأكمله. حتى النجوم البعيدة هي في داخلك، وباستطاعة حالتك العدمية هذه احتوائها. الأزهار، والشمس، والقمر... وموسـيقى الـوجود، كلـها فـي داخلـك. أنـت لـم تعـد «أنـا» مادية، لقد اختفت هذه الأنا. وهذا لا يعني أنك اختفيت ولكن على العكس، لقد ظهرت الآن.

إنها نشوة رائعة أن نتخلى عن شعور الأنا، أن نتخلى عن غرورنا الذاتي، من دون أن نطلب أي شيء آخر. وما هو الشيء الذي يمكن أن تطلبه؟ أنت في حالة عدمية - وفي حالة العدمية هذه، أصبحت الكون بأكمله.

على مستوى الخط العمودي، يزداد الوعي ويبدأ الجسد بالتلاشي. وفي حالة العدمية هذه تصبح كل هذه الأزهار، والطيور، والأشجار، وجميع الأشياء الجميلة في داخلك. وهـذا منتـهى الغنـى فـي الحيـاة. وعنـدما يصـبح القمـر والنجوم، والزمن والفضاء في داخلك... هل يمكن أن تريد أكثر من ذلك؟

هذا هو معنى التنوّر الحقيقي: أن تصبح غير موجود من الناحية المادية وأن يصبح الوجود جزءًا منك.

كان كابير Kabir، أحد الصوفيين الهنود العظماء، غير مثقف ولكنـه كتـب كثـيرًا مـن الأقوال المـأثورة. ولقد عمد إلـى تصحيح أحد أقواله قبل وفاته. جاء في هذا القول: «كنت أبحث يا صديقي. وبدلاً من

أجد نفسي، أضعت نفسي في الكون. لقد اختفت قطرة الندى في المحيط». وقبل وفاته بقليل، قبل أن يغمض عينيه، طلب من ابنه كمال أن يصحح هذا القول.

أجابه كمال: «لقد اشتبهت أن يكون هذا القول بحاجة لبعض التصحيح. ولقد صححته». لقد صحّح كمال القول قبل أن يطلب منه والده ذلك. قال له كابير: «أنت معجزة». ولقد كان كمال معجزة حقًا. لقد صحح العبارة التي كان ينوي والده تصحيحها على الشكل التالي: «كنت أبحث يا صديقي. وبدلاً من أن أجد نفسي، وجدت العالم بأكمله، وجدت الكون بأكمله. قطرة الندى لم تختف داخل المحيط، لقد اختفى المحيط داخل قطرة الندى».

وعندما يختفي المحيط داخل قطرة الندى، تفقد قطرة الندى حدودها.

كان رينزاي Rinzai، أحد معلمي الزن، يتبع عادة غريبة ولكنها جميلة. عند كل صباح، قبل أن يفتح عينيه، كان يقول: «رينزاي، ما زلت هنا؟».

كان تلامذته يقولون له: «ما هذا السؤال السخيف؟».

وكان يجيبهم: «أنا أنتظر سماع الجواب التالي: كلا، الوجود هنا، وليس رينزاي». هذا أقصى ما يبلغه الوعي الإنساني. هذه غاية النعمة المباركة. وإذا لم نتمكن من بلوغ هذه الذروة، سنبقى تائهين في طرق مظلمة، نشقى، نتألم، ولا نرى النور. قد نجمع كثيرًا من المعرفة ولكن ذلك لن يساعدنا كثيرًا. وهناك شيء واحد جوهري في الممارسة الدينية، شيء بسيط، هو التأمل.

يجب أن تتجه نحو الداخل. من الصعب أن تخرج من زحمة أفكارك، ولكن أنت لست فكرة. يمكنك أن تبتعد عن أفكارك، وكلما بعدت المسافة، بدأت الأفكار تتساقط كأوراق الخريف - لأن تماهيك مع أفكارك كان مصدر غذائها الوحيد. وإذا لم تعطها الغذاء، لا يمكن لأفكارك أن تتواجد.

كل ما عليك أن تفعله هو أن تلتزم اللامبالاة تجاه أفكارك وهذا سيوقف الغذاء عنها، وستختفي بكل بساطة. وفي اللحظة التي تختفي فيها أفكارك، تجد نفسك في وضع مشابه لرينزاي، وتسأل نفسك: «رينزاي، ما زلت هنا؟» وستنتظر تلك اللحظة الرائعة عندما يأتيك الجواب: «كلا، لم تعد هنا».

الصمت هو تأمل وليس موهبة. ليس باستطاعة أي إنسان أن يكون بيكاسو Picasso، أو ميكال أنجلو Michelangelo، أو رابيندراناث Rabindranath - هؤلاء أشخاص موهوبون. ولكن بإمكان كل شخص أن يكون متنوّرًا لأن التنوّر ليس موهبة؛ ولكنه طبيعتك الجوهرية التي لا تعي وجودها. وسوف تبقى على هذه الحال ما دمت محاصرًا بهذه الأفكار. ولا ينبثق وعيك لحقيقتك الجوهرية إلا عندما لا يوجد أي شيء يمنع انبثاقها، عندما تكون محاطًا بالعدمية.

إن المستوى العمودي نادر الوجود. وقد يكون الشيء الوحيد النادر في الوجود، لأنه يقودنا إلى الرحلة الأبدية. إن الزهور التي تتفتح على هذه الطريق، لا يمكن للعقل أن يتصورها، والتجارب التي نعيشها، لا يمكن تفسيرها. ولكن بطريقة ما يصبح الإنسان المتنوّر تعبيرًا عن هذه التجارب. تظهر عيناه عمق مشاعره القلبية، وحياته بكاملها تخلق الطاقة.

قوانين التقدم في السن

كلنا يتقدم في السن. ونحن نتقدم في السن منذ اللحظة التي نولد فيها. وهناك عدة قوانين تحكم ظاهرة التقدم في السن. لأن الناس تتقدم في السن في كل مكان. ولقد حاول كثير من المفكرين أن يفسروا هذه الظاهرة.

أول قانون هو قانون «أبدًا» الأخير Never's Last Law، وهو يتعلّق بوضوح بالتقدم في السن، وقد يكون هذا القانون الأول والأخير: «لا تحاول التفكير أبدًا بما يمكن معرفته بصورة أكيدة».

أنت تعرف على وجه اليقين أنك تتقدم في السن، ولا تفكر بذلك لأن ذلك سيزيدك شقاء. والواقع أن الموت هو الأمر الوحيد الذي يمكن إن نتوقعه بصورة أكيدة. لكن يمكننا التفكير بأي شيء، ما عدا الموت. والتقدم في السن هو الباب الذي يقود إلى الموت.

«تعرف أنك تقدمت في السن عندما تخذلك فتاة، وكل ما تشعر به هو الارتياح».

«تصبح مسنًا عندما تبدأ بإطفاء الأنوار لأسباب اقتصادية وليس رومانسية».

«الشيخوخة هي تلك المرحلة من الحياة حيث يعني التقدم أن تراوح مكانك».

«الشيخوخة هي المرحلة التي يمكنك فيها أن تقوم بكل ما كنت تقوم به في الماضي، ولكنك تفضّل أن لا تفعل ذلك».

التقدم في السن هو تجربة غامضة. وكل هذه التفسيرات للموت صدرت عن العقل الغربي. ولم أتمكن من العثور على أي مفكر شرقي ينظر إلى الموت من هذه الزاوية. على عكس ذلك، لقد نظر الشرقيون إلى التقدم بالسن بكل تقدير واحترام. إذا تحركت حياتك على الخط الأفقي، تكون قد تقدمت في السن، ولكن إذا تحركت حياتك على الخط العمودي، صعودًا، تكون قد بلغت جمال ومجد الشيخوخة. إن الشيخوخة في الشرق، كانت ولا تزال مرادفًا للحكمة.

هناك طريقان: الأولى أفقية، من مرحلة الطفولة، إلى مرحلة الشباب، إلى مرحلة الشيخوخة، إلى الموت. والثانية عمودية، من مرحلة الطفولة، إلى مرحلة الشباب، إلى مرحلة الشيخوخة، إلى الأبدية. وهناك فرق نوعي كبير بين الطريقتين. والإنسان الذي تقوده

الطريق إلى الموت هو من تماهى مع جسده طوال الطريق. وهو من لم يعرف أي شيء عن وجوده، لأن الوجود لا يولد ولا يموت؛ كان ولا يزال وسيبقى. إنه الأبدية.

على الخط الأفقي، يصبح الطفل شابًا. ولكن مرحلة الشباب على الخط العمودي تختلف كثيرًا عن مرحلة الشباب على الخط الأفقي. والطفولة بريئة على الخطين، ولكنها تشكّل نقطة الافتراق نحو مرحلة الشباب. إن مرحلة الشباب على الخط الأفقي قائمة على الشهوة، الجنس، والسخافات. بينما هي على الخط العمودي بحث عن الحقيقة، وبحث عن الحياة - وهي توق الإنسان لمعرفة ذاته.

على الخط الأفقي، ليست الشيخوخة سوى ارتجاف، وخوف من الموت. ولا يمكن للإنسان أن يفكر إلا بالقبر وظلمته. ولا يمكن أن يتخيل نفسه سوى هيكل عظمي. وعلى الخط العمودي، الشيخوخة هي احتفال، وهي أجمل مراحل الحياة. على الخط العمودي، تفتح الشيخوخة أبوابها لدخول الزائر الأخير. وهي ليست نهاية، بل بداية الحياة الحقيقية للذات الحقيقية.

لذلك أنا دائمًا أميّز بين التقدم في السن والنضج. قليل من الناس أسعدهم الحظ وأصبحوا ناضجين. أما باقي البشرية، فإنهم يتقدمون في السن ويتحركون باتجاه الموت. ولا وجود للموت على الخط العمودي، إنه طريق الأبدية والألوهية.

في النصوص البوذية جملة تقول إن بوذا ازداد جماله عندما تقدم في السن. وهذا ما أسميه معجزة حقيقية. أصبح بوذا أكثر جمالاً مما كان عليه في شبابه، وأصبح أكثر براءة مما كان عليه في طفولته ـ هذا هو النضج.

إذا لم تتحرك على الخط العمودي، فأنت تُضيّع فرص الحياة، لأن الخط العمودي هو وحده الذي يقرّبك من الحياة. عندها لا

تصبح ولادتك بداية الموت، بل بداية الحياة الأبدية. إنهما خطان مختلفان...

الغرب لم يفكّر بذلك؛ لم يأتوا على ذكر الخط العمودي، لأنهم لم يتربوا في مناخ روحاني حيث الغنى هو غنى الذات الداخلية. حتى عندما يفكرون بالله، فإنهم يفكرون به خارج ذواتهم. ولكن الله هو في داخلنا.

أن نفكر بأنفسنا كبُنية مؤلفة من عقل وجسد فحسب هو أمر في منتهى الخطورة. هذا يدمر جمال الإنسان وسحره ويجعله في حالة خوف دائمة من الموت. والإنسان يحاول أن يبعد الشيخوخة عنه بقدر الإمكان. في الغرب، عندما تقول لامرأة متقدمة في السن: «تبدين شابة» ستكون في غاية السعادة وربما ستنظر إلى نفسها بالمرآة لساعات طويلة بعد ذلك. في الشرق لا أحد يقول للمرأة المتقدمة في السن: «تبدين شابة». على عكس ذلك، هناك احترام ومحبة لمرحلة الشيخوخة، لدرجة أن القول لشخص متقدم في السن: «تبدو شابًا بالنسبة لسنك» يعتبر نوعًا من الإهانة.

هذا يذكّرني بحادثة حصلت لي. كنت في زيارة إحدى العائلات التي كانت شديدة الاهتمام بقراءة الكف. كانت تربطني بهذه العائلة علاقة مودة كبيرة وكنت أزورهم بضع مرات في السنة. في إحدى المرات، ومن دون أن يخبروني بذلك، طلبوا إلى أحد قارئي الكف أن يحضر إلى منزلهم ويقرأ كفي. كان قارئ الكف جالسًا في غرفة الجلوس فقلت له: «دعنا نستمتع بذلك!».

بسطت له كفي فتمعّن فيه وقال: «لا بد أنك في الثمانين من العمر». وقد أغضب هذا إحدى بنات صديقي التي قالت لقارئ الكف: «ما هذه الحماقة، أي نوع من قراءة الكف هذه...؟».

في ذاك الوقت كنت في الخامسة والثلاثين من العمر ـ حتى رجل أعمى يمكنه أن يتبيّن الفرق بين سن الخامسة وثلاثين وسن الثمانين.

كانت الفتاة غاضبة وقالت لي: «لقد انتهت علاقتي بقارئ الكف هذا. ماذا يمكنه إخبارنا إضافة إلى ذلك؟».

قلت لها: «أنت لا تفهمين الأمر. لقد حصلت على ثقافتك في الغرب ولا يمكنك أن تفهمي ما قصد بقوله».

أجابتني: «ماذا قال؟ لم يكن هناك حاجة لفهم أي شيء؛ كل ما فعله هو إظهار حماقته. أنت في الخامسة والثلاثين من العمر ولقد قال إنك في الثمانين».

عندها أخبرتها قصة عن رالف والدو أمرسن Ralph Waldo Emerson. سأله أحدهم: «كم لديك من العمر؟».

أجاب أمرسن: «حوالي ثلاث مئة وستين سنة». لم يصدق الرجل ذلك وكان يعلم أن أمرسن كان رجلاً صادقًا! ماذا حصل، أهي زلة لسان؟ هل أصيب بالخرف؟ أم أنه كان يمزح؟

وليتأكد من حقيقة الأمر قال له: «لم أسمع ما قلت، أخبرني كم لديك من العمر؟».

أجابه أمرسن: «لقد سمعتني، ثلاث مئة وستون سنة».

قال الرجل: «لا أصدق ذلك، لا يبدو عليك أكثر من ستين سنة».

قال أمرسن: «أنت على حق نوعًا ما: على الخط العمودي، لدي ثلاث مئة وستون سنة من العمر، وعلى الخط الأفقي، لدي ستون سنة من العمر».

قد يكون أمرسن أول شخص غربي يستخدم عبارة الخط الأفقي والعمودي. وكان شديد الاهتمام بالشرق، قال موضحًا: «في الواقع لقد عشت ستين سنة؛ أنت على حق. ولكنني خلال تلك السنوات الستين، عشت خبرات لا يمكنك أن تعيشها خلال ثلاث مئة وستين سنة».

إن الخط العمودي لا يقاس بالسنين، وإنما بالخبرات. وهذا الخط يحوي كنز الوجود - ليس فقط الأبدية ومشاعر الألوهية، بل أولى تجارب الحب من دون كراهية، وأولى تجارب الشفقة، وأولى تجارب التأمل، وأولى تجارب التنوّر.

ليس من باب المصادفة أن الكلمة تنوّر لا تعبّر في الغرب عن نفس المعنى الذي تعبّر عنه في الشرق. يقولون إن التنوّر تلا مرحلة العصور المظلمة في الغرب. وهم يشيرون إلى أشخاص مثل برترند راسل Bertrand Russell، وجان بول سارتر Jean Paul Sartre، وكارل جاسبرز Karl Jaspers على أنهم عباقرة متنوّرين. وهم لا يدرون أنهم يسيئون استخدام كلمة تنوّر ويمرّغونها بالوحل. لا يوجد متنور واحد بين هؤلاء المفكّرين.

لا يحصل التنوّر على الخط الأفقي. حتى في سنين شيخوخته، كان جان بول سارتر لا يزال يلاحق الفتيات. وبرترند راسل تزوج عدة مرات وعاش ما يقارب المئة سنة على الخط الأفقي. وكان حتى في آخر سني حياته لا يزال منشغلاً بالفتيات.

والشرق يعتبر أن التنوّر لا علاقة له بالعبقرية والفكر، وإنما علاقته تنحصر في اكتشاف ذاتنا الحقيقية. في اكتشاف الله في داخلنا.

إذًا يجب أن لا نقلق حيال قوانين العمر الزمني. إنها قوانين الخط الأفقي. وعلى الخط العمودي، يوجد الحب وليس القوانين. نعيش تجربة متنامية تجعلنا أكثر روحانيةً وأقل ماديةً، أكثر تأملاً وأقل تفكيرًا، أكثر ألوهيةً وأقل انتماء إلى هذا العالم الدنيوي التافه.

على الخط العمودي، تشعر بالرغبات، والطموحات، وإرادة السلطة، جميعها تزول تدريجيًا... كما أن العبودية تفارقك بجميع أوجهها - الدينية، والسياسية، والقومية. وتصبح فردًا حقيقيًا تشعّ من خلاله الإنسانية.

هنـاك خبـرات رائعـة علـى الخـط العمـودي؛ أمـا علـى الخـط الأفقي فهناك انحطاط. على الخط الأفقي، يعيش الإنسان المتقدم في السن في الماضي. يتذكر الأيام الجميلة، ليالي ألف ليلة وليلة، عندما كان في عز الصبا. كما أنه يتذكر أيام الطفولـة عنـدما لـم يكـن لـديه أيـة مسـؤولية وعنـدما كـان يلاحق الفراشات.

هذا ما يحصل على الخط الأفقي ـ عندما تتقدم في السن، تصبح أكثر تعلقًا بالرغبات، لأنك تعلم أنه لم يعد أمامك سوى الموت. وهكذا تريد أن تتمتع بما تبقى لك من الحياة بقدر الإمكان، بالرغم من أن المتعة أصبحت صعبة التحقيق لأنك فقدت طاقتك الجسدية. على الخط الأفقي، الرجل المسـن يتلـهى بـالجنس عبـر مخيلتـه. وهـو يفكـر بـالجنس بصورة متواصلة، ولم يعد لديه شيء آخر يفكر به سوى المرأة والجنس.

على الخط الأفقي، يفكر الرجل المسن بالماضي باستمرار. أما الطفل فيفكر بالمستقبل لأنه ليس لديه ماضٍ؛ يفكر في الأيـام القادمـة، فـي الحيـاة الطويلـة الأمـد. سـبعون سـنة تعطيه فسحة كافية.

والرجل المسن ليس لديه مستقبل ـ المستقبل يعني الموت بالنسبة له. وهو لا يريد أن يتكلم عن المستقبل، فمجرّد التفكـير بـه يسـبب لـه الخـوف والوجـل، لـذلك يتكلـم عـن الماضي.

وهذا يصح بالنسبة للبلدان أيضًا. على سبيل المثال، لا تفكر الهند بالمستقبل على الإطلاق. إنها تفكر دائمًا بالماضي. وهـذا يعنـي أنـها أصـبحت مسـنة. إنـها تسـتمر علـى مـرور السنين في تمثيل مسرحيات درامية من الماضي ـ حياة راما Rama وحياة سيتا Sita. كل القرى تمثّل هذه الدراما. إن الهند تنتظر الموت الآن؛ لم يعد هناك من مستقبل.

وفقًا لوجهة النظر الهندية فيما يتعلق بالعقل البشري، مررنا بأفضـل مرحلـة منـذ ملايـين السـنين. كـانت هـذه المرحلـة تـدعى مرحلـة الحقيقـة. بعـد ذلـك بـدأ الإنسـان بالسـقوط. وتُشبّه وجهة النظر هذه

الحياة بطاولة لها أربع قوائم، تمثل كل قائمة منها مرحلة من مراحل حياة. أول مرحلة تشبه مرحلة الطفولة والبراءة. وهذه المرحلة هي مرحلة التوازن التام. وفي المرحلة الثانية تسقط إحدى قوائم الطاولة وتصبح مرتكزة على ثلاث قوائم. والطاولة لا تزال متوازنة ولكن ليس كما كانت عليه عندما كانت ترتكز على أربع قوائم. وفي المرحلة الثالثة تسقط قائمة أخرى وتصبح الطاولة مرتكزة على قائمتين، وهي معدومة التوازن. ونحن الآن في المرحلة الرابعة حيث ترتكز الطاولة على قائمة واحدة فقط ـ كم من الوقت يمكننا أن نستمر بالوقوف على قائمة واحدة؟

نحن نعيش في عصر الظلمات ـ حيث عقل الرجل المسن لا يرى أمامه سوى الظلمة، وحيث الطفل يفكر بالمستقبل الذهبي والرجل المسن يفكر بالماضي الذهبي. ولكن هذا يحصل فقط على الخط الأفقي. أما على الخط العمودي، فإن الماضي ذهبي، والحاضر ذهبي، والمستقبل ذهبي؛ والحياة احتفال رائع لا يتوقف.

إذًا بدلاً من أن تشغل فكرك في قوانين الشيخوخة، فكّر على أي خط يتحرك قطارك. لا يزال أمامك متسع من الوقت لتبدّل قطارك. يمكنك أن تنتقل من الأفقي إلى العمودي؛ وهذا فقط هو المهم.

أعراض

شخص غريب في غرفة الاستقبال

قالت امرأة متقدمة في السن إنها لاحظت تغيرًا في سلوكها سبّب لها الانزعاج. «أنا أشعر بغضب عارم بعض الأحيان، من دون أي سبب. والغضب يتلاشى بسرعة، ولكنني لم أكن على وعي به سابقًا. ربما كان هذا الغضب في داخلي طوال الوقت...».

كلا، ولكن بعد تجاوز عمر معيّن، تتبدل القطبية Polarity. وهي عملية في غاية الدقة.

داخل لاوعي كل امرأة، يوجد رجل، وداخل لاوعي كل رجل توجد امرأة. على الصعيد الواعي أنت امرأة، وهكذا تستخدمين قدراتك الأنثوية ـ وبقدر ما تستخدمين هذه القدرات، تصبح مستنفدة. ولكن اللاوعي غير المستخدم يبقى بحالة نضارة ونشاط. وعندما تستخدم المرأة جزأها الأنثوي الواعي لفترة طويلة، يضعف تدريجيًا، ويأتي وقت يصبح فيه في غاية الضعف لدرجة أن الجزء الذكري اللاواعي يصبح أقوى منه.

في البداية كان الجزء الأنثوي هو الأقوى ـ لهذا السبب كنت امرأة. على سبيل المثال، كنت 70% امرأة و30% رجلاً. الثلاثون بالمئة الذكرية كانت مكبوتة، وقد أجبرت على ملازمة اللاوعي من قبل السبعين بالمئة الأنثوية. والاستخدام المتواصل للجزء الأنثوي يجعل هذا الجزء الواعي يزداد ضعفًا يومًا بعد يوم. ويأتي وقت تقل نسبته عن 30% - فجأة يتغير اتجاه دوران الدولاب، ويسيطر الجزء الأقوى. يصبح الجزء اللاواعي في غاية القوة وتفاجئين لأنك لم تعلمي بوجوده من قبل. والشيء ذاته يحصل للرجال - يصبحون أكثر أنوثة عندما يتقدمون في السن.

حوالي سن التاسعة والأربعين، سن اليأس Menopause، بعد أن يتوقف الطمث، يبدأ التوازن في جسم المرأة بالتغيّر. وعاجلاً أم آجلاً، تجد المرأة شخصًا جديدًا يأتي لزيارتها... شخصًا غريبًا. تصيبها الدهشة والحيرة، لأنها لا تعرف كيف ستتكيف بالعيش مع هذا الغريب. لقد كان هذا الغريب موجودًا طوال الوقت - ولكنه كان يقطن الطابق الأرضي. لم يصعد من قبل إلى الطابق العلوي. الآن وبصورة مفاجئة، يترك الطابق الأرضي - وليس ذلك فحسب، بل يجلس في غرفة الاستقبال ويحاول أن يستولي على كل شيء! وهو قوي.

إذًا كل ما في وسعك القيام به أن تتقبليه، وتراقبيه. لا تقاتليه، لا تحاولي كبته. لا يمكنك أن تكبتيه الآن. حاولي أن تأتي به تدريجيًا إلى مستوى الوعي، وهذا الوعي سيخلق لك توجّهًا جديدًا. ستعرفين أنك لست امرأة ولست رجلاً. المرأة كانت دورًا تلعبينه فحسب - الآن حل مكانه دور آخر بطريقة قسرية. خرج الجزء المكبوت إلى السطح. أصبح الجزء المغلوب هو الجزء الغالب.

لو كنت فعلاً امرأة كليًا، لما تمكنت الطاقة الذكرية من السيطرة عليك. أنت لم تكوني امرأة أو رجلاً ـ في البدء كان الجزء الأنثوي هو المسيطر، ولعب دور الأنثى. والآن الجزء الآخر هو المسيطر ويلعب دور الذكر. والنساء جميعهن يصبحن أكثر ذكورةً عندما يتقدمن في السن - ومن هنا خطورة الحموات! إنه شيء طبيعي يحصل للجميع، ولا يمكننا أن نفعل أي شيء بصدده. وعلينا أن نكون يقظين، وأن نراقب عن بُعد ونرى اللعبة بأكملها. بعدها ينبثق كيان يختلف عن الاثنين.

إن الذكورة هي في جسم الإنسان، وكذلك الأنوثة ـ العقل يتبع ظلالاً، يتبع انعكاسات. وأنت في أعماق وجودك لست أيًا من الاثنين - لست برجلٍ ولست بامرأة. يجب أن تفهمي هذا الواقع. وعندما تتفهمينه،

ستسخرين منه ويزول الغضب من داخلك. لن تصبحي امرأة مجددًا، ولكن لن تكوني رجلاً أيضًا. ستصبحين كيانًا مختلفًا.

هذه هي حقيقة الإنسان. هذا ما تدعوه الديانات السمو فوق الذات - والإنسان هو الحيوان الوحيد القادر على السمو فوق ذاته. يمكنه السمو فوق الرجل والمرأة، فوق الجيد والسيئ، فوق الأخلاقي واللاأخلاقي. يمكنه أن يسمو فوق كل شيء ويصل من خلال ذلك إلى نقطة يصبح فيها وعيًا خالصًا فحسب، مراقبًا على الهضبة فحسب. إذًا، لا تدعي ما يحصل يقلقك - راقبي فحسب، كوني سعيدة.

سن اليأس ليس ظاهرة نسائية فقط

رجل في الثامنة والأربعين من العمر قال إن لديه عائقًا جنسيًا يتجلى بعدم مقدرته على قول ما يشعر به عندما يكون برفقة امرأة. كما أنه لاحظ أن طاقته الجنسية هي في طور الانحطاط.

هذا هو الوقت. حوالي التاسعة والأربعين من العمر تبدأ في حياة الرجل مرحلة مشابهة لسن اليأس عند المرأة، ولكنها لا تظهر بوضوح كما هي الحال عند المرأة. حتى أن الأبحاث العلمية الحديثة تؤكد ذلك. ولقد كان هذا الأمر معروفًا بالنسبة للهندوسيين والبوذيين منذ قرون طويلة... لأنه لا يوجد اختلاف جوهري في الكيمياء بين الرجل والمرأة. كلاهما ينضج جنسيًا حوالي سن الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة.

وكما أن المرأة تأتيها الدورة الشهرية كل ثمانية وعشرين يومًا وتعاني من حالة اكتئاب لمدة ثلاثة أو أربعة أيام، يعاني الرجل أيضًا من حالة اكتئاب دورية مماثلة كل ثمانية وعشرين يوم تقريبًا. وهذه الحالة أكثر وضوحًا عند المرأة بسبب الطمث.

حالة الرجل ليست مرئية كحالة المرأة، ومع ذلك فإنه يمر بحالة اكتئاب لمدة ثلاثة أو أربعة أيام كل شهر من دون أي سبب ظاهر. ولا داعي للرجل أن يشعر بالقلق حيال ذلك لأنها ظاهرة طبيعية - الطاقة الجنسية بدأت بالانحطاط. ولكن مع انحطاط الطاقة الجنسية، تبدأ الطاقة الروحية بالتزايد.

إذًا، كرجل، يجب أن لا تفكر بطريقة سلبية حيال هذه الظاهرة، لأنها قد تكون نعمة مباركة؛ تقبّلها فقط. دعها تأخذ مجراها الطبيعي ولا تفكر بالعائق الجنسي. إذا شعر شاب في العشرين من العمر بانحطاط في الطاقة الجنسية، في هذه الحالة هناك عائق جنسي، ويجب أن يبحث عن علاج لهذا العائق. ولكن إذا لم يشعر شخص في التاسعة والأربعين من العمر بانحطاط في الطاقة الجنسية، فهذا دليل على أن حالة هذا الشخص غير طبيعية وأنه بحاجة لعلاج أيضًا.

في الغرب، أصبح انحطاط الطاقة الجنسية مشكلة كبيرة لأن الحياة الجنسية هي الحياة الوحيدة التي يعرفونها. في اللحظة التي تبدأ فيها طاقتهم الجنسية بالانحطاط يشعرون أنهم يقتربون من الموت. في الشرق، على عكس ذلك، نشعر بسعادة غامرة عندما تبدأ طاقتنا الجنسية بالانحطاط لأننا نتخلص بذلك من حالة الهياج والاضطراب التي كانت تسبّبها.

لا داعي للقلق، ليس هناك أي عائق جنسي. بعد مرور سنة، تستقر الأمور وتنتقل إلى مستوى أعلى: ستتمكن من رؤية الحياة بطريقة مختلفة. ولن يكون الرجال مشابهين كثيرًا للرجال، والنساء لن يكن شبيهات كثيرًا بالنساء. سيكون هناك مخلوقات بشرية في العالم بدلاً من رجال ونساء.... وهذا عالم مختلف كليًا من المخلوقات البشرية. في الواقع، بعد ذلك يصبح من غير المقبول أن ننظر إلى المرأة كامرأة وإلى الرجل كرجل - كان الجنس سبب الانقسام. وعندما يزول الجنس كعامل تقسيم، لن نرى سوى مخلوقات بشرية.

الرجل المسن القذر

الكبت الجنسي المزمن في المجتمع هو سبب وجود الرجل المسن القذر.

لو سُمِح للناس أن يعيشوا حياتهم الجنسية بفرح عندما يبلغون الثانية والأربعين من العمر - وأنا أقول الثانية والأربعين وليس الرابعة والثمانين - لفقد الجنس سيطرته على سلوكهم. وكما أن الطاقة الجنسية تتفجر وتتعاظم في سن الرابعة عشرة، فهي تبدأ بالانحطاط في سن الثانية والأربعين. وهذا مسار طبيعي. وعندما يختفي الجنس من حياة الإنسان، يصبح حب الرجل المسن وعطفه من نوعية مختلفة كليًا. تختفي الشهوة والرغبة من حبه، ويصبح حبه نقيًا، وبريئًا، وفرحًا.

إن ممارسة الجنس تحقق اللذة للإنسان. وعندما نمارس الجنس، ونختبره، ونتعرف إليه من دون أي كبت، يفقد قيمته ونتحرر من سيطرته. والمعرفة تجلب الحرية، لأنه ليس هناك من أسرار نسعى لاكتشافها بعد ذلك. ومن خلال هذه المعرفة، تتحول كل الطاقة الجنسية إلى حب وعطف. وعندها يصبح الرجل المسن أجمل وأنظف رجل في العالم.

لم أسمع على الإطلاق بعبارة مثل «الرجل المسن النظيف». ولكن عبارة «الرجل المسن القذر» موجودة في جميع اللغات. والسبب في ذلك هو أن الجسد يهرم، ويضعف، ويريد أن يتخلص من الجنس - ولكن العقل، بسبب الرغبات المكبوتة، لا يزال يتوق للجنس. عندما يفقد الجسم قدرته على ممارسة الجنس ولكن العقل لا يتوقف عن تحريضه على القيام بشيء لا يمكنه القيام به، عندها يبرز الرجل المسن القذر. الجنس والشهوة ينضحان من عينيه؛ جسده في غاية الضعف، وعقله يفكر بالجنس على الدوام.

هذا يذكرني بقصة الرجل الذي سمع خلسة زوجته وشقيقتها تتحدثان عن رحلاته المتكررة خارج البلدة. كانت

الشقيقة تقترح أن على الزوجة أن تكون حذرة وقلقة حيال وجود زوجها من غير مراقب في تلك المنتجعات الفخمة التي تعج بالنساء الجميلات.

«أنا أقلق على زوجي؟» تساءلت الزوجة «لماذا أقلق، إنه لا يخدعني على الإطلاق. إنه وفي، وخلوق، وكبير في السن».

إن الجسم سيشيخ عاجلاً أم آجلاً. وهذا أمر محتم. ولكن إذا لم تشبع رغباتك في السن المناسب، فإنها لن تتوقف عن المطالبة بالإشباع. والرجل المسن إما أن يصبح في غاية الجمال لأنه استعاد طفولته وبراءته... أي يصبح رجلاً حكيمًا، وإما أن يصبح رجلاً مسنًا قذرًا إذا لم يتمكن من التخلص من رغباته.

أوقِف أحد الرجال المسنين وهو يحاول الاعتداء جنسيًا على امرأة. بعد أن رأى القاضي هذا الرجل الذي يبلغ الثمانين من العمر في المحكمة، بدّل التهمة من محاولة اعتداء بسلاح مميت إلى محاولة الاعتداء بسلاح ميت.

إذا أصبحت مسنًا، تذكّر أن الشيخوخة هي ذروة الحياة. والرجل المسن يعلم أن الرغبات الطفلية هي رغبات عابرة، كما أنه يعلم أن أيام الصبا والاضطرابات قد ولّت. لقد هبّت العاصفة وخلّفت الصمت وراءها - هذا الصمت هو في غاية الجمال، والعمق، والغنى. وإذا كان الرجل المسن ناضجًا، وهذا نادر الحدوث، سيصبح في غاية الجمال. غير أن معظم الناس يتقدمون في السن ولكنهم لا ينضجون، وهنا المشكلة.

انضج، كن واعيًا ويقظًا. الشيخوخة هي آخر فرصة أمامك: هيئ نفسك قبل أن يوافيك الموت. وكيف نهيئ أنفسنا للموت؟ بأن نصبح أكثر تأملاً!

إذا بقيت لديك بعض الرغبات غير المشبعة، وأصبح الجسم هرمًا ولا يتمكن من إشباعها، فلا تقلق. تأمل هذه الرغبات، وراقبها، وكن واعيًا. إن مجرد كونك يقظًا، وحذرًا، وواعيًا، يمَكّنك من تحويل الطاقة الكامنة

في هذه الرغبات إلى اهتمامات أخرى. ولكن قبل أن يوافيك الموت، تحرر من جميع الرغبات. وأنا أقصد هنا الرغبات المادية، فهناك نوع آخر من الرغبات وهي عبارة عن توق نقي، توق إلى الله. هذا النوع من الرغبات هو خلاق ونقي لأنه غير مادي، ليس له غرض، أو عنوان، أو اتجاه - إنه طاقة خالصة فحسب. وهذه هي البوذية.

الشعور بالمرارة

نحن نشعر بالمرارة لأننا لسنا كما ينبغي أن نكون. ويشعر الجميع بالمرارة لأن الحياة ليست كما يتوقعونها أن تكون. إذا كان هذا كل ما في الحياة، فإنها لاشيء. يجب أن يكون هنالك شيء آخر في الحياة، وإذا لم نتمكن من العثور على هذا الشيء الآخر، لن يفارقنا الشعور بالمرارة. ومن هذا الشعور بالمرارة يتولد الغضب، والحسد، والكراهية، والعنف. إن الجميع يشكون باستمرار، يشكون هذا الوجود ويتساءلون: «ماذا أفعل هنا؟ لماذا أنا هنا؟ لا شيء يحصل لي. لماذا علي أن أحيا هذه الحياة الفارغة؟». الزمن يمر وتبقى الحياة من غير سعادة، وهذا يخلق المرارة في داخلنا.

ليس مصادفة أن نرى المسنين يتصرفون بقسوة وسخرية. من الصعب العيش مع المسنين، حتى ولو كانوا والديك لأنهم يشعرون أن حياتهم ذهبت هدرًا وهذا يسبب لهم الشعور بالمرارة. وأي شيء يثير غضبهم حتى الأمور التافهة. لا يرغبون برؤية الأطفال سعداء، يرقصون، ويغنون، ويصرخون من الفرح. بالنسبة لهم، هذا مجرد إزعاج.

في الواقع إنهم يشعرون بالمرارة بسبب الحياة التي عاشوها، وهم يختلقون الأعذار ليظهروا هذه المشاعر. ومن النادر أن تصادف رجلاً مسنًا لا يشعر بالمرارة، لأن ذلك سيعني أنه عاش حياة سعيدة، وسيعني أنه رجل ناضج. تلك القلة من الرجال المسنين تتحلى بجمال لا

يوصف، وهم في غاية النضج والخبرة. لقد عاشوا حياة مليئة بالخبرات، وهم دائمًا يشكرون الله لما أنعم عليهم به.

ولكن من الصعب أن تعثر على هذا النوع من الرجال المسنين، لأن ذلك يعني أنك عثرت على بوذا أو المسيح. إن الأشخاص الواعين واليقظين فقط لا يشعرون بالمرارة عندما يصبحون مسنين - لأنهم ينتظرون الموت.

إن الشعور بالمرارة هو حالة جهل. ويجب أن نتخطى هذه المشاعر، وأن نتحلى بالوعي الذي يصبح جسرًا نعبر عليه إلى عالم أسمى. إن مجرد العبور يؤدي إلى تحول تام. وعندما نتخطى كل هذه الشكاوى، كل هذه المشاعر السلبية، تنبعث في داخلنا مشاعر إيجابية عاطرة. وتتحول الطاقة المريرة نفسها إلى طاقة عاطرة.

التحوّل من لا إلى نعم

الوعي يجلب الحرية. والحرية لا تعني أن نكون أحرارًا للقيام بالأعمال الصحيحة، لأنك لو تمتعت بالحرية لتقوم بالأعمال الصحيحة فقط، فأنت لست حرًا على الإطلاق. ذلك أن الحرية تتضمن أي خيار، أن تقوم بما هو صحيح أو ما هو خاطئ. والحرية تعني حقك في أن تقولا لا أو نعم.

وهنا شيء دقيق يجب أن نفهمه: عندما تقول لا، تشعر بالحرية أكثر مما لو قلت نعم. وعندما تقول نعم، لا تشعر بالحرية لأن النعم تعني أنك أطعت، وأنك استسلمت. أين الحرية إذًا؟ لا، تعني أنك عنيد، وأنك تبقي مسافة بينك وبين الآخرين، وأنك تؤكد نفسك، وأنك مستعد للقتال. إن كلمة لا تحدد صفاتك أكثر من كلمة نعم. كلمة نعم مبهمة، تشبه السحابة. وكلمة لا صلبة، تشبه الصخر.

لهذا السبب يقول علماء النفس إن الطفل بين سن السابعة والرابعة عشرة يستخدم كلمة لا أكثر فأكثر. وعندما يقول لا يشعر أنه يتحرر من رحم الأم، يتحرر من تبعيتها. حتى عندما لا يكون هناك ضرورة لقول لا، يقول لا. حتى لو أن قول نعم يخدم مصالحه، يقول لا. يجب أن يتعلم قول كلمة لا، لأنه عندما يبلغ الرابعة عشرة، وينضج جنسيًا، سيقول اللا النهائية لأمه - سيقع في حب امرأة ويعيش حياة مستقلة.

إنه يعارض الأهل حبًا بالمعارضة. إذا طلبوا منه أن يُقصّر شعره، يطيله، والعكس صحيح. إذا قالوا له «إن النظافة من الأيمان»، يبتعد عن النظافة قدر المستطاع. ويختلق جميع الأعذار والحجج ليبرر سلوكه، ولكن كل ما يريده هو قول لا.

وهكذا فإن لا تعطيك شعورًا بالحرية والذكاء. وأنت لست بحاجة إلى الذكاء لتقول نعم. عندما تقول نعم، لا أحد يسألك لماذا تقول نعم. لا أحد يهتم لسبب موافقتك. إضافة إلى ذلك، عندما توافق مع الآخر، لا تعطيه أي مبرر للنقاش والجدل. وعندما تقول لا، من المؤكد أنك

ستُسْأل لماذا. ستنخرط في نقاش، وهذا سيشحذ ذكاءك، ويحدد شخصيتك، ويشعرك بالحرية.

راقب سيكولوجية اللا. من الصعب على الناس أن يعيشوا بحالة انسجام، وذلك بسبب الوعي. ذلك أن الوعي يولّد الحرية، والحرية تعطيك القدرة على قول لا، وهناك احتمالات أكثر لتقول لا من أن تقول نعم.

من دون نعم لا يوجد انسجام. نعم تعني الانسجام. ولكن الأمر يتطلب كثيرًا من الوقت لتصبح ناضجًا بما فيه الكفاية لتقول نعم وتبقى حرًا، لتقول نعم وتبقى متميزًا، لتقول نعم ولا تصبح عبدًا.

الحرية التي تجلبها كلمة لا هي حرية صبيانية. إنها تناسب من هم ما بين السابعة والرابعة عشرة من العمر. ولكن إذا علِق الإنسان في هذه المرحلة ولم يتمكن من التوقف عن قول كلمة لا باستمرار، فهذا يعني أنه توقف عن النضج.

ومنتهى النضج هو أن نتمكن من قول نعم، وأن نشعر بنفس الفرح الذي يشعر به الطفل عندما يقول لا. والرجل الذي يتمكن من قول نعم بمنتهى الحرية والفرح، من دون تردد، ومن دون مقابل، ومن دون شروط - نعم بسيطة ونقية، نعم فرحة - هذا الرجل أصبح حكيمًا. هذا الرجل يعيش في حالة انسجام، وانسجامه يختلف عن انسجام الأشجار، والحيوانات، والطيور. فهذه تعيش بانسجام لعدم قدرتها على قول كلمة لا، والرجل الحكيم يعيش بانسجام لأنه لا يقول كلمة لا. وبين بوذا والطيور يتواجد معظم الناس ـ غير ناضجين، طفليين، عالقين في مرحلة معينة، لا يزالون يحاولون قول كلمة لا، ليشعروا ببعض الحرية.

أنا لا أقول: لا تتعلّم قول كلمة لا. كل ما أقوله: تعلّم أن تقول لا في الوقت المناسب، ولا تتشبث بها. وسترى تدريجيًا أن هناك نوعًا أسمى من الحرية يأتي مع كلمة نعم.

التكامل والتوازن

التكـامل مـوجود فـي جوهـر ذاتـك. وإلا لمـا تمكنـت من الاستمرار في الوجود.

أنت حي، أنت تتنفس، أنت واعٍ؛ الحياة تتحرك، ويجب أن يكون هناك محور لعجلة الحياة. قد لا تكُون واعيًا لوجود هذا المحور، ولكنه موجود. ومن دونه، لا يمكنك أن تكون.

إذًا الشيء الجوهري الذي يجب أن نفهمه هو أن الصيرورة ليست صلب الموضوع. أنت موجود، ويجب أن تذهب إلى الداخل لترى ذاتك. وهذا اكتشاف وليس إنجازًا. أنت تحمل جوهـر الـذات فـي داخلـك منـذ البداية، ولكنك أصبحت متمسكًا بالأطراف وابتعدت عن المركز. لقد أصبح اهتمامك محصورًا بالخارج ولم تعد قادرًا على النظر إلى الداخل.

حاول أن تخلق بعض الرؤية الداخلية، بعض التبصر. اجلس بصمت، استرخ جسديًا، أغلق عينيك واذهب إلى الداخل... لا تبذل أي جهد، استرخ فقط.

إذا تمكنـت من القيام بذلك، ستبرز الذات الحقيقية إلى الخارج، وسترى جوهر وجودك يخرج من السحابات.

هنـاك طريقتـان للعيش. الأولـى هـي طريقـة الفعل - تبـادر بفعل شيء ما. والثانية هي طريقة التلقي - كل ما تفعله هو تلقي الأشياء. وطريقة الفعل تتطلب حركة دائمة. إذا كنت تريد مزيدًا من المال، لا يمكنك أن تبقى جالسًا، فلن يأتي المال إليك، ويجب أن تبذل جهدًا لتحصل عليه، ويجب أن تتنافس مع الآخرين وتستخدم كل الطرق الممكنة، أكانت قانونية أم غير قانونية؛ أخلاقية أم غير أخلاقية. إذا أردت أن تحصل على السلطة، إذا أردت أن تصبح رجلاً سياسيًا، يجب أن تبذل جهدًا كبيرًا لتحقق ذلك. وطريقة التلقي لا تتطلب أية حركة،

ولست بحاجة لأن تفعل أي شيء، وإنما تسمح للأمور أن تحصل لك فحسب. لقد نسينا هذه الطريقة كليًا. ويجب أن نتعلم هذه الطريقة المنسية مجددًا.

أنت لست بحاجة لتقوم بأي عمل لتحصل على التكامل، فهو جزء منك. لقد نسيت كيف تنظر إليه، وكيف تتفهمه. وكل ما عليك أن تفعله هو الانتقال من طريقة الفعل إلى طريقة التلقي.

أنا لا أشير عليك بترك عالم الفعل. لأن ذلك سيجعلك غير متوازن مجددًا. أنت الآن غير متوازن؛ وأنت تعتمد طريقة واحدة في الحياة وهي طريقة الفعل؛ أن تقوم بفعل شيء ما. هناك بعض الأشخاص الذين لا يستطيعون مجرد التفكير بالجلوس في حالة صمت. هذا مستحيل. ولا يسمحون لأنفسهم بلحظة استرخاء. ولا يهتمون إلا بالفعل. وأي عمل ما يحظى باهتمامهم. أما غروب الشمس، فما هي الغاية من مشاهدته؟

أنت تهتم فقط بالفعل، وقد أصبح ذلك عادة ضارة. يجب أن تسترخي بعض الشيء. يجب أن تنتقل لبضع دقائق، أو ساعات، أو لبضعة أيام، إلى الطريقة الأخرى. يجب أن تجلس وتسمح للأمور أن تحصل لك. وعندما تنظر إلى غروب الشمس، لا يُتوقع منك القيام بأي شيء. أنت فقط تنظر. وعندما تنظر إلى زهرة، ماذا يفترض بك أن تفعل؟ النظر لا غير.

في الواقع، أنت لا تبذل أي جهد، حتى عندما تنظر إلى الزهرة. عيناك مفتوحتان، والزهرة هناك... وعندما يختفي الناظر والمنظور، تولد لحظة تواصل عميقة ويولد الجمال. عند ذلك، أنت لست المراقِب والزهرة ليست المراقَبة - لأنه حتى المراقبة تتطلب بعض الفعل. الآن أنت هناك والزهرة هناك، وبطريقة ما تتداخل الحدود فيما بينكما. تدخل الزهرة إليك، وأنت تدخل إلى الزهرة ويولد التجلي. سمّ ذلك ما شئت، الجمال، أو الحقيقة، أو الله.

يجب أن تسمح أكثر وأكثر بحصول هذه اللحظات. أنا لا أقول أنه يجب أن تسعى وراء هذه اللحظات، أو أن تتدرب عليها، لأنك بذلك ستتبع طريقة الفعل. كل ما أقوله هو أن تسمح لهذه اللحظات بالحصول. في لحظات معينة، لا تفعل أي شيء على الإطلاق. استرخ في الحديقة وانظر إلى السماء. وفي لحظات أخرى، أغمض عينيك وانظر إلى أعماق ذاتك حيث تتكاثر الأفكار والرغبات؛ انظر فقط، لا تقل «أريد أن أوقف هذه الأفكار» - لأنك بذلك تكون قد انتقلت إلى طريقة الفعل مجددًا.

هناك طريقة من أقدم طرق التأمل التي لا تزال تُستخدم في أديرة التيبيت Tibet. وهي تعتمد على تعليم الشخص أن يختفي من الوجود. بعد ذلك يمكنك أن ترى كيف يبدو العالم عندما تختفي منه، وعندما تصبح في غاية الشفافية. جرّب ولو لثانية واحدة أن تختفي من الوجود.

جرّب ذلك في منزلك، فكّر فقط أنك في يوم من الأيام ستغيب عن الوجود، وسوف تموت. الزوجة ستستمر في تحضير الطعام، وسيستمر الأطفال بالذهاب إلى المدرسة. فكّر: اليوم أنت غير موجود. تحوّل إلى شبح. سوف تختفي وأنت جالس في كرسيك، وسترى كيف تستمر الأوضاع في المنزل. سوف يكون هناك صمت وهدوء. وسيستمر كل شيء على ما كان عليه من دونك. إذًا ما الغاية من أن نشغل أنفسنا دائمًا بالقيام بعمل ما؟ ما الغاية من ذلك؟ سوف نغيب عن الوجود وكل ما فعلناه سيختفي. كن كما لو أنك لم توجد أبدًا.

إنها طريقة تأمل جميلة. يمكنك أن تجربها عدة مرات في اليوم. نصف ثانية ستفي بالغرض؛ توقّف فقط لنصف ثانية... أنت غير موجود... والعالم يستمر. عندما تصبح واعيًا تمامًا أن العالم سيستمر على خير ما يرام من دونك، ستتمكن من التعرف إلى جانب من كيانك تعرّض للإهمال لمدة زمنية طويلة ـ وهذا الجانب هو طريقة التلقي. أنت

تتلقى فحسب. تفتح الباب إلى داخلك، وتحصل الأشياء من دون أي فعل من قبلك.

هذا ما يقصده بوذا عندما يقول: «كن خشبة طافية على سطح الماء في الجدول، وحيثما يذهب الجدول، دعه يأخذك معه؛ لا تبذل أي جهد». إن التوجه البوذي بكامله يعتمد على طريقة التلقي. ولهذا السبب ترى بوذا يجلس تحت الشجرة. إن جميع الصور تظهره جالسًا تحت الشجرة، لا يقوم بأي عمل.

لا ترى صورة مشابهة للمسيح. إنه يتبع غالبًا طريقة الفعل. ولقد أضاعت الديانة المسيحية فرصًا هائلة بسبب ذلك: أصبحت المسيحية ديانة فعل. يهتم المبشرون المسيحيون بالفقراء ويقدمون لهم المساعدة، ويساعدون المرضى في المستشفيات، وجهودهم تنحصر بفعل شيء معين. هذا أمر جيد، ولكنه لا يزال ضمن طريقة الفعل، ومعرفة الله لا يمكن أن تحصل إلا من خلال طريقة التلقي.

الآن، حتى في الشرق، يقدس الناس بعض الأشخاص الذين يقومون بأعمال حميدة - وذلك لأن الشرق فقير ومريض. هناك آلاف المرضى، وملايين الفقراء، وملايين الأميين؛ وهم بحاجة إلى الثقافة، والدواء، وإلى خدمات عديدة. فجأة يصبح الشخص الذي يتبع طريقة الفعل في غاية الأهمية - يصبح غاندي مهاتما (الروح الكبيرة)، وتصبح الأم تيريزا قديسة. ولكن لا يهتم أحد فيما إذا تمكن هؤلاء من التوصل إلى طريقة التلقي.

الآن، لو ظهر بوذا مجددًا، فلن يعيره الناس أي اهتمام لأنه لن يساعد في بناء المدارس والمستشفيات. وسوف يجلس مجددًا تحت شجرة «البوداي»، سوف يجلس بصمت. وهذا لا يعني أن وجوده لن يترك أي أثر في العالم. فبجلوسه تحت شجرة البوداي، سوف يخلق تموّجات هائلة ومرهفة، وسوف يحوّل العالم بأكمله. ولكن لكي تشعر بتلك التموجات، يجب أن تكون ناضجًا. ولتتعرف إلى

بـوذا، يجب أن تسير على طريقه. أما التعرّف إلى الأم تيريزا فهو أمر سهل، لأن الكل يرى أنها تقوم بأعمال حميدة.

أن نقوم بأعمال حميدة شيء، وأن نكون أشخاصًا حميدين شيء آخر. أنا لا أقول: «لا تقم بأعمال حميدة». ولكني أقـــول: «دع الأعمـــال الحميـدة تنبعـث مـن كونـك إنســانًا حميدًا».

أولاً، حــاول أن تصــل إلــى طريقـة التلقـي. وعنـدما تتفتـح ذاتك الحقيقية وتشعر بالتكامل في داخلك، وتتعرف إلى مركز التكامل هذا، تختفي فجأة فكرة الموت بالنسبة لك. تختفي فجأة كل الهموم لأنك لم تعد الآن جسدًا أو عقلاً.

عند ذلك ينبعث العطف، وتنبعث المحبة، وتنبعث الصلوات. وتصـــبح بركـــة للعـــالم. الآن، لا أهميـــة لمـــا تصـــبحه فـــي المســتقبل - أن تصــبح ثوريــًا كالمســيح، أم تجلــس تحـت الشجرة مثل بوذا، أم تصبح ميرا Meera وتغني وترقص تمجيدًا لله.

كــل مــا أحــاول فعلـه الآن هـو أن أجعلـك تـدرك أنـك لسـت بحاجــة لأي شـــيء. كــل مـا أنـت بحاجـة إليـه موجود فـي داخلك. ولكن يجب أن تجد طرقًا للعثور عليه. أودّ أن أطلعك على تقنية بسيطة. قد تبدو صعبة في بادئ الأمر، ولكن عندما تجرّبها سترى أنها سهلة. والتقنية هي بكل بساطة أن تفعل فقط ما تتمتع بفعله. جرّب ذلك. إذا كنــت تفعــل أي شـــيء وتتمتــع بفعلــه، تشـعر بصـلة وثيقـة بذاتك الحقيقية. وإذا كنت تقوم بشيء غير ممتع، تشعر بانفصال عن ذاتك الحقيقية. إن الفرح ينبعث فقط من مركز الذات الحقيقية. اعتمد هذا المقياس، وكن متشددًا بذلك.

أنت تقوم بنزهة، فجأة تشعر أنك لا تتمتع بالنزهة. توقف، لا تتابع المشي.

كنت أفعل ذلك عندما كنت طالبًا في الجامعة، وكان الناس يظنون أنني مجنون. أتوقف فجأة وأبقى في المكان الذي تــوقفت فيــه لمـدة نصـف

ساعة أو ساعة، ولا أغادر هذا المكان حتى أشعر أنني سأتمتع بالمشي مجددًا. كنت أيضًا أتوقف عن الاستحمام أو تناول الطعام عندما أشعر أنني لا أستمتع بذلك. ما فائدة القيام بأي عمل عندما لا تتمتع بالقيام به.

عندما كنت في المدرسة الثانوية، انضممت إلى حصّة الرياضيات. في اليوم الأول من الدراسة كان المدرس يقدم لنا المادة، وفي وسط الحصّة وقفت وهممت بالخروج. سألني المدرس: «إلى أين أنت ذاهب؟ من دون إذن، لن أسمح لك بدخول الحصة مجددًا». قلت له: «لا تقلق، لن أعود إلى هذه الحصة ثانيةً، لذلك لم أطلب منك إذنًا. أنا لا أتمتع بهذه المادة! هذا نوع من التعذيب والعنف. سوف أجد مادة أخرى أتمتع بها».

وتدريجيًا أصبح هذا الأمر عاملاً أساسيًا في سلوكي. لقد تبيّن لي أنه عندما تتمتع بالقيام بشيء ما، تكون متوازنًا. والمتعة هي دليل التوازن. وعندما لا تتمتع بالقيام بشيء ما، فهذا يعني أنك غير متوازن. إذًا، لا تفرض ذلك على نفسك؛ لا داعي لذلك. إذا ظن الناس أنك مجنون، دعهم يظنون ذلك. بعد أيام قليلة ومن خلال تجاربك، ستكتشف أنك كنت تضيّع ذاتك الحقيقية. كنت تقوم بآلاف الأعمال التي لم تتمتع بالقيام بها، وكنت تقوم بها لأنك دُرّبت على القيام بها، كنت تقوم بالواجبات المطلوبة منك.

لقد دمّر الناس حتى شيئًا جميلاً كالحب. تأتي إلى المنزل وتقبّل زوجتك لأن العادة جرت على ذلك، ويجب أن تفعل ذلك. وهكذا فإن شيئًا جميلاً كالقبلة فقد معناه. وتدريجيًا، ومن دون أي متعة، تتابع تقبيل زوجتك، فتنسى المتعة التي يخلقها تقبيل شخص آخر. إنك تصافح باليد أي شخص تلتقيه ببرودة، من دون دفء، من دون أن تعطيه أية إشارات، ثم تستمر في هذه العادة فتصبح متجلدًا، وتتساءل بعد ذلك: «كيف يمكنني أن أصل إلى الذات الحقيقية؟».

يمكنك أن تصل إلى الذات الحقيقية عندما تكون دافئًا، وعندما تفيض بالحب والفرح. والأمر يعود إليك. افعل فقط ما تحب حقًا أن تفعله وتتمتع به؛ وإذا فقدت المتعة، توقف، وابحث عن شيء آخر لتفعله. ستجد بالتأكيد شيئًا آخر تتمتع به. لم يسبق لي أن صادفت أي شخص لا يمكنه التمتع بأي شيء. هناك بعض الأشخاص الذين قد لا يتمتعون ببعض الأشياء، ولكن الحياة شاسعة وغنية. لا تبقَ مسمّرًا في مكانك، تنقّل باستمرار. دع الطاقة تنساب منك، دعها تلتقي بالطاقات التي تحيط بك. سوف يتبيّن لك في وقت قريب أن المشكلة لا تكمن في عدم قدرتك على التكامل، وإنما في عدم قدرتك على الفيض والانسياب. عندما تنساب منك الطاقة، تصبح متكاملاً. وقد يحصل ذلك بصورة عفوية بعض الأحيان، ولكن بنفس الطريقة.

في بعض الأحيان تقع في حب امرأة، وفجأة تشعر أنك متكامل، وأنك أصبحت واحدًا للمرة الأولى. عيناك مضيئتان، ووجنتاك مشعّتان، وفكرك نيّر. بدأ النور يشعّ في كيانك، وانبعثت منك الأغاني، وأصبحت خطواتك على الأرض رقصة جميلة. أنت الآن شخص مختلف كليًا.

ولكن هذا يحصل لنا في مناسبات قليلة ـ لأننا لم نتعلم السر. والسر هو أنك وجدت شيئًا تتمتع به. قد ترى رسامًا يرسم وهو جائع، ولكنك ترى علامات الرضى على وجهه. قد تصادف شاعرًا فقيرًا، ولكن عندما يغني أشعاره، فإنه أغنى رجل في العالم. ما سرّ ذلك؟ السرّ هو أنه يتمتع بهذه اللحظة الآنية. عندما تتمتع بما تقوم به، فأنت في حالة تناغم مع ذاتك ومع الكون.

دع هذا التبصّر البسيط يوجّه خطواتك. افعل ما تتمتع به فقط، وعندما تتوقف المتعة، توقف، ولا تتابع ما كنت تقوم به. أنت تقرأ الجريدة، وبعد قراءة بعض الصفحات تشعر أن المتعة زالت، عندئذٍ لا تتابع القراءة. لا داعي لذلك. تتحدث إلى شخص ما، وفي منتصف الحديث تشعر أنك لا تتمتع بهذه المحادثة، ولم تتلفظ سوى بكلمات معدودة، إذًا

تـوقف الآن. لا شـيء يجبـرك علـى متابعـة الحـديث. فـي البداية، قد يبدو لك الأمر غريبًا، ولكن بعد عدة محاولات ستعتاد هذا الأمر.

خلال أيام قليلة، ستكون قد تمكنت من الاتصال بذاتك الحقيقية، وستفهم ما أعنيه عندما أكرر القول: إن ما تبحث عنه هو في داخلك.

عندما تصبح الولادة والموت شيئًا واحدًا

قـرب منزلـي شـجرة معـمّرة، لا تزال تـرقص فـي المطـر، وأوراقـها تتسـاقط برشـاقة وجمـال. الشـجرة والأوراق المتساقطة ترقص معًا في المطر والرياح؛ هناك احتفال.

ما عدا الإنسان، لا يوجد أي شيء في الوجود يعاني من الكبر في السن. في الواقع، لا يعرف الوجود أي شيء عن الكبـر فـي السـن. إنـه يعـرف النضـج. يعـرف أن هنـاك وقتًا نرقص فيه، ونعيش حياتنا بشغف، وهناك وقت للراحة.

تلك الأوراق المسنة التي تتساقط من شجرة اللوز بالقرب من منزلي ليست ميتة؛ إنها تخلد إلى الراحة فقط، تتحلل وتختلط بنفس الأرض التي انبعثت منها. ليس هناك أي حزن أو حِداد، بل طمأنينة عارمة من جرّاء بلوغ الراحة الأبدية. ربما في أحد الأيام، في وقت آخر، ستعود وتنبت ثانيـة بشـكل مختلـف، وعلـى شـجرة أخـرى. سـوف تغنـي مجـددًا، وسـوف تـرقص مجـددًا، وسـوف تفـرح باللحظـة الآنية مجددًا.

الوجود هو حلقة دائرية من الولادة إلى الموت ومن الموت إلى الولادة، إنه حلقة أبدية. في كل ولادة موت وفي كل موت ولادة. كل ولادة يسبقها موت، وكل موت تتبعه ولادة. إذًا، لا يعرف الوجود الخوف. لا يوجد أي خوف في أي مكان إلا في عقل الإنسان. يبدو أن الإنسان هو الصنف المريض الوحيد في كل الكون. أين يكمن المرض؟ كان يجب أن تكون الأمور مختلفة... وكان على الإنسان أن يتمتع أكثر، وأن يحب أكثر،

وأن يعيش لحظاته أكثر. أكان ذلك أثناء مرحلة الطفولة، أو الشباب، أو الشيخوخة، أكان ذلك أثناء الولادة أو أثناء الموت.

لقد وُلِدتَ آلاف المرات، وتُوفّيت آلاف المرات. وأولئك الذين يتمكنون من الرؤية بوضوح، بإمكانهم أن يفهموا هذه الظاهرة بعمق أكثر، وكأنها تحصل لهم في كل لحظة. يموت في داخلك شيء كل لحظة، ويولد شيء جديد. الموت والحياة غير منفصلين. لا تفصل بينهما سبعون سنة. إنهما كجناحي طير، يرفرفان معًا. لا يمكن للحياة أن توجد من غير الموت، ولا يمكن للموت أن يوجد من غير الحياة. من الواضح أنهما متكاملان، غير متناقضين. لا وجود لأحدهما من غير الآخر، وكل منهما يعتمد على الآخر. إنهما جزء من الكل الكوني.

ولكن بما أن الإنسان في حالة من النعاس وتدني الوعي، لا يمكنه أن يرى حقيقة بسيطة وواضحة. ومع قليل من الوعي سترى أنك تتغيّر في كل لحظة. والتغيّر يعني أن شيئًا ما يموت وأن شيئًا ما يولد من جديد. إن الولادة والموت يصبحان واحدًا؛ وعند ذلك تصبح الطفولة وبراءتها والشيخوخة وبراءتها شيئًا واحدًا.

هناك فرق بين براءة الطفل وبراءة الكبير في السن، ولكن ليس هناك أي تعارض. براءة الطفل فقيرة لأنها نابعة من جهل. والرجل الكبير في السن، الذي نضج عبر السنين، والذي عاش جميع تجارب الظلمة والنور، والحب والكراهية، والفرح والشقاء، بلغ مرحلة لم يعد يشارك فيها بأية تجربة. يأتي الشقاء... يراقب. تأتي السعادة... يراقب. أصبح مراقبًا على الهضبة. تحصل الأمور في قعر الوديان المظلمة، ولكنه يبقى على قمة الجبل المشمسة، يراقب في صمت تام.

براءة الشيخوخة غنية. غنية بالتجارب. غنية بتجارب الفشل وتجارب النجاح، بتجارب الخطأ وتجارب الصواب. براءة الشيخوخة لا يمكن مقارنتها بالجهل، إنها مرادف للحكمة.

الطفل والرجل الكبير في السن، كلاهما بريء. ولكن هناك اختلاف نوعي في براءة كل منهما. الطفل بريء لأنه لم يدخل بعد في ليالي الروح المظلمة؛ والرجل الكبير في السن بريء لأنه خرج من النفق المظلم. أحدهما يهم بدخول النفق، والآخر يخرج من النفق. أحدهما سيعاني الكثير من الألم، والآخر عانى ما يكفي من الألم. أحدهما لا يمكنه أن يتحاشى الجحيم الذي ينتظره، والآخر ترك الجحيم وراءه.

يخشى الإنسان الشيخوخة، ويرتجف قلبه لمجرد التفكير بها. والشيخوخة تعني له أن ساعة الموت اقتربت. والإنسان طُبع على الخوف من الموت لقرون عديدة حتى أصبحت الفكرة متجذرة في عقله اللاواعي. وغدت كلمة الموت كافية لتثير الرعب في قلب الإنسان.

أنا أريدك أن تكون واعيًا أن الموت ليس النهاية. في الوجود، ما من شيء يبتدئ وما من شيء ينتهي. أنظر حولك فحسب... المساء ليس النهاية، كما أن الصباح ليس البداية. الصباح يتحرك باتجاه المساء، والمساء يتحرك باتجاه الصباح. إنها حلقة دائرية.

لا يوجد بداية ولا يوجد نهاية.

ولماذا يكون الأمر مختلفًا بالنسبة للإنسان؟ لا يختلف الإنسان عن باقي الكون. وتفكيره بأنه مختلف، وغير عادي، ومميّز عن باقي المخلوقات من الحيوانات والطيور والأشجار، خلق له الجحيم. وفكرة أننا مخلوقات غير عادية خلقت هوة بيننا وبين الوجود. وهذه الهوة سبّبت كل مخاوفنا، وكل ما نعانيه من ألم وعذاب. وجميع القادة في كل المجتمعات - السياسيين، أو الدينيين، أو الاجتماعيين ـ عملوا على توسيع هذه الهوة. لم يُبذل أي جهد لردم هذه الهوة، وإعادة الإنسان مجددًا إلى الأرض، مع الحيوانات، والطيور، والأشجار، ولإعلان وحدة مطلقة مع الوجود.

هذه هي حقيقة وجودنا - عندما نتفهمها، لن نشعر بالقلق أو الخوف حيال الشيخوخة والموت، لأنه عندما ننظر حولنا، سنكون في غاية القناعة أن ما من شيء يبتدئ، لقد كان موجودًا منذ البداية، وما من شيء ينتهي، سيبقى موجودًا إلى الأبد.

ولكن فكرة التقدم في السن تثير فيك قلقًا كبيرًا. هذا يعني أن أيام الحب والفرح انتهت بالنسبة لك. تشعر أنك عبء على الحياة، وأنك واحد من مجموعة كبيرة تتقدم بخطوات مسرعة نحو الموت. لقد فشلت معظم الثقافات والحضارات في العالم فشلاً ذريعًا في تأمين حياة ذات معنى وخبرات قيّمة للمسنين، تجعلهم يشعرون بقيمتهم الذاتية وأهمية وجودهم. كما أنها فشلت في إضفاء قيمة جمالية ليس فقط على حياة المسنين، بل على فكرة الموت بحد ذاته.

والمشكلة تزداد تعقيدًا، لأنه كلّما ازداد خوف الإنسان من الموت، ازداد خوفه من الحياة. إن كل لحظة نعيشها، تقرّبنا من الموت... والإنسان الذي يخشى الموت، لا يمكن أن يحب الحياة، لأن الحياة هي التي تأخذنا إلى أبواب الموت.

كيف يمكننا أن نحب الحياة؟ لهذا السبب دعت جميع الديانات لنكران الحياة. ونكران الحياة هو الوسيلة الوحيدة لنكران الموت. وعندما لا تعيش حياتك، لا تحب، ولا ترقص، ولا تغني، وليس لديك أي سبب لتخشى الموت، لأنك ميت.

لقد دعونا هؤلاء الأشخاص الذين أنكروا الحياة قديسين. ونظرنا إليهم بجلال وقدسية لأننا نحب أن نكون شبيهين بهم، ولكننا لا نملك الشجاعة الكافية لذلك. لا يمكن للقديس أن يموت لأنه ميت. لقد أنكر جميع الملذات والأفراح. وأنكر كل ما تمنحه لنا الحياة.

حصل أن زارني أحد القديسين فاصطحبته إلى الحديقة لأريه تلك الأزهار الجميلة. رمقني بنظرة غريبة فيها بعض الانزعاج والاستياء ولم يتمكن من كتم مشاعره السلبية فقال لي: «لقد ظننت أنك رجل

متدين.... وأنت لا تزال تتمتع بجمال الأزهار؟». إنه محق من ناحية: إذا كان بإمكانك أن تتمتع بجمال الأزهار، فلا يمكنك إلاّ أن تتمتع بجمال الإنسان. ولا يمكنك تحاشي التمتع بجمال المرأة؛ ولا يمكنك تحاشي التمتع بجمال الموسيقى والرقص. وإذا أبديت اهتمامًا بجمال الأزهار، فهذا يعني أنك ما زلت مهتمًا بالحياة، وليس بإمكانك أن تنكر الحب.

الجمال يطلق مشاعر الحب؛ والحب يخلق الجمال.

قلت له: «أنت محق من هذه الناحية، أنا لا أزال أتمتع بجمال الأزهار، ولكنك مخطئ من الناحية الثانية».

عندما ترى طيرًا على غصن شجرة، من المستحيل أن لا تتمتع بحريته. وعندما ترى مغيب الشمس والألوان المختلفة التي تنشرها في الأفق، لا يمكنك إلا أن تبدي اهتمامًا بذلك، حتى لو أغلقت عينيك.

الحياة هي اسم ثانٍ للحب، والحب ليس إلاّ شعورًا مرهفًا بالجمال.

وقلت لذلك القديس: «ليس بإمكاني أن أتنكر للحياة، لأن الحياة أعطيت إلي من قبل الوجود».

وفق تعريفي، المتدين هو شخص نابض بالحيوية، يغمره الحب، واعيًا للجمال الرائع الذي يحيط به، ولديه الشجاعة ليتمتع بكل لحظة من الحياة.

لا داعي للقلق حيال الشيخوخة. إنها تضفي عليك مسحة من الجمال، لأنك بلغت مرحلة السمو. وأنت الآن إنسان ناضج، عشت كل أنواع التجارب، وبإمكانك الآن أن تسمو فوق كل مشاعرك وأفكارك.

يجب أن تبتهج. وأريد أن يفهم العالم بأجمعه حقنا بأن نبتهج، وبكل امتنان، بالشيخوخة وانصهارها بالموت. وإذا لم تتمكن من مقابلة الموت

مخلفًا ضحكة وراءك، فأنت لم تعش حياتك على الطريقة الصحيحة. لقد عشت حياة مليئة بالخوف.

ما أحاوله هنا، هو أن أملأ قلبك بالضحك. يجب أن تكون كل عروقك نابضة بحب الحياة، وأن تتمتع بالرقص في كل مناسبة، أكان ذلك في الليل أم النهار، في أسهل الظروف أو أشدها قسوة. هذا هو التدين الحقيقي بالنسبة لي.

وهذه بعض أقوال السوترا Sutra المأثورة:

«الرجل المسنّ هو مَن يرتدي نظارته في السرير ليتمكن من رؤية الفتيات بصورة أوضح في أحلامه».

«الرجل المسنّ هو مَن لا يغازل الفتيات سوى في الحفلات لكي تعيده زوجته إلى المنزل».

«جمال الشيخوخة هو أنك لمّا أصبحت كبيرًا في السن، ولم يعد بإمكانك أن تكون قدوة سيئة، يمكنك أن تبتدئ بإسداء النصائح الجيدة».

«النساء تفضل الأشياء البسيطة في الحياة ـ كبار السن على سبيل المثال. وعندما تبتدئ المرأة بإبداء الرغبة بك، فهذا يعني أن أمرك انتهى. لم تعد تخاف منك، إنها تتقبلك كليًا الآن».

«في داخل كل رجل مُسنّ، شاب يتساءل عما حصل».

الاختفاء من الصورة

تصبح ناضجًا فقط عندما تبدأ بالتأمل؛ وفي ما عدا ذلك تبقى طفلاً. قد تتبدل ألعابك - الأطفال الصغار يلعبون بالألعاب الصغيرة، والأطفال الكبار، الأطفال المسنين، يلعبون بالألعاب الكبيرة - ولكن لا يوجد أي فرق نوعي بينها.

كما ترى، قد يقف طفلك على الطاولة وأنت تجلس على كرسي بجانبها ويقول: «انظر يا أبى، أنا أكبر منك». فتسخر منه. ماذا فعلت؟ عندما يكون لديك كثير من المال، راقب الطريقة التي تمشي بها. إنك تمشي بطريقة تقول بها للجيران: «انظروا، أنا أكبر منكم». أو عندما تصبح رئيسًا للجمهورية، أو رئيسًا للوزراء، راقب كيف تمشي، بتعالٍ وغرور. أنت تقول للجميع: «لقد هزمتكم جميعًا. أنا أجلس على أكبر كرسي». كل هذه الألعاب متشابهة! من مرحلة الطفولة حتى مرحلة الشيخوخة، تتلهى بنفس الألعاب. قد تتلهى بلعبة المونوبولي، أو قد تلعب المونوبولي الحقيقية في الأسواق المالية - لا فرق في ذلك، إنها نفس الألعاب ولكنك تلعبها على مستويات مختلفة.

عندما يحاول الإنسان أن يحصل على الأشياء المادية، يبقى طفليًا. حتى عندما يحصل على القمر، ماذا سيفعل هناك؟ سيكون نفس الطفل، محشوًا بالتفاهات والترّهات، واقفًا على سطح القمر. لن تتغير الأمور. يمكنك أن تكون فقيرًا أو غنيًا، مشهورًا أو غير معروف على الإطلاق - لا فرق في ذلك. إذا لم يغيّر الفكر اتجاهه ويتحوّل نحو الداخل، وإذا لم يكتسب بعدًا جديدًا ويصبح تأمليًا، فلن يتغير أي شيء.

التأمل هو تحوّل الفكر نحو مصدره.

التأمل يجعلك في منتهى النضج. والكبر في السن لا يعني النضج. إني أرى كثيرًا من كبار السن الذين لا يزالون يتلهون بنفس الألعاب، ألعاب السلطة والسيطرة القذرة، حتى رجال في الثمانينات من العمر يبدو أنهم في حالة نوم عميق. متى يستيقظون؟ متى يبتدئون بالتفكير بالعالم الباطني.

الموت سيأخذ منك كل ما جمعته - سلطتك، وأموالك، ومكانتك. لن يبقى منك أثر. سيأتي الموت ويدمر كل ما بنيته. سيثبت لك الموت أن قصورك كانت مبنية من أوراق اللعب.

والنضج هو أن تعرف أن شيئًا في داخلك لا يطاوله الموت، يسمو فوق الموت - إنه التأمل. إن الفكر يعرف العالم؛ والتأمل يعرف الله. الفكر هو طريقة لفهم المادة؛ والتأمل هو طريقة لفهم الروح. يهتم الفكر بالمحتوى؛ والتأمل يهتم بالوعي. يهتم الفكر بالغيوم؛ والتأمل يبحث عن السماء. تأتي الغيوم وتذهب؛ والسماء تبقى إلى الأبد.

حاول أن تبحث عن السماء الداخلية، وعندما تجدها ستُكتب لك الأبدية. وسيفنى الجسد، والعقل، ولكنك لن تفنى. والمعرفة هي معرفة الحياة. وما تدعوه بالحياة، ليس بالحياة الحقيقية، لأنها ستفنى. إن المتأمل فقط يعرف معنى الحياة لأنه توصّل إلى مصدر الأبدية.

أحاجي

جريمة قتل مبرّرة

أنا في الخمسين من العمر، ولكنني لا أشعر أنني ناضج حقًا، ما هي مشكلتي؟

ربما لم تُقدم على قتل أي شخص حتى الآن. إذا أردت أن تصبح شخصًا ناضجًا، عليك أن ترتكب جريمة قتل. وإذا لم تقتل عددًا من الناس، لن تصبح ناضجًا. يجب أن تقتل أهلك، ومدرّسيك، وجميع قادتك. إنهم يضجّون ويصرخون في داخلك، ولا يسمحون لك بأن تصبح ناضجًا. يحاولون إبقاءك طفلاً، ويجعلونك متكلاً عليهم كليًا، ولا يسمحون لك بأن تصبح مستقلاً.

دعوني أروي هذه القصة: طلب أحد الكهنة إجازة من بوذا ـ كان ذاهبًا إلى مكان بعيد لينشر رسالة بوذا. وعندما حضر ليلمس قدميه، باركه بوذا وقال لباقي التلامذة: «هل ترون هذا الكاهن المبارك؟ لقد قتل والدته، وقتل والده، وقتل جميع أقاربه، وقتل ملكه». دُهش التلامذة ولم يصدقوا ما سمعت آذانهم: «ماذا يقول بوذا؟».

سأله أحد التلامذة بعد أن تمالك جأشه: «ماذا تعني يا سيدي؟ هل تعني أن في القتل فضيلة؟ أنت تقول إنه كاهن مبارك؟» ضحك بوذا وقال: «ليس ذلك فحسب، لقد قتل نفسه أيضًا، لقد انتحر». بعد ذلك قام بوذا بإنشاد أغنية وشرح ما قصد بقوله.

يتربّى كل منا كطفل. وهذه أول مرحلة من الحياة. لقد دُرّبت لتبقى طفلاً سنين طويلة. كانت تأتيك الأوامر وكان يُتوقّع منك إطاعتها. والآن أصبحت شديد الاتكالية - أصبحت تبحث عن رموز أبوية، عن رموز سلطة لتملي عليك ما يجب أن تفعله، وما يجب أن لا تفعله.

النضج يعني القدرة على أن نقرر لأنفسنا وأن نعتمد على أنفسنا. ولكن هذا نادرًا ما يتحقق لأن الأهل يفسدون الأطفال. بعد ذلك يأتي دور المدرسة، والكلية، والجامعة في الإفساد. ومن النادر أن يصل أحد إلى مرحلة النضج.

والمجتمع لا يَسعَد بوجود أشخاص ناضجين. فالأشخاص الناضجون يشكلون خطرًا لأنهم يعيشون وفقًا لقناعاتهم. والشخص الناضج يفعل ما يحلو له، ولا تهمه أفكار الناس وآراؤهم. ولا يتوق للمكانة أو الاحترام الزائف. إنه يعيش حياته مهما كان الثمن. وهو مستعد للتضحية بأي شيء، ولكنه غير مستعد للتضحية بحريته على الإطلاق. والمجتمع يخاف من هؤلاء الأشخاص؛ ويريد أن يبقى الجميع في حالة طفولة. يجب أن يبقى الجميع ما بين السابعة والرابعة عشرة من العمر - وهذا حال جميع الناس.

خلال الحرب العالمية الأولى، وللمرة الأولى، أصبح علماء النفس في غاية الاهتمام بظاهرة العمر العقلي للإنسان. وقد أجريت أبحاث على نطاق واسع في الجيش في هذا المجال. وقد توصلوا إلى اكتشاف غريب: كان متوسط العمر العقلي لأفراد الجيش اثنتي عشرة سنة. قد يكون عمرك الزمني خمسين سنة، ولكن عمرك العقلي يبقى دون الأربعة عشرة سنة.

يحصل معظم الكبت قبل سن الرابعة عشرة، لأنه بعد هذا السن يصبح الكبت في غاية الصعوبة. وفي الوقت الذي يبلغ فيه الطفل سن الرابعة عشرة، إذا لم يتمكن المجتمع من كبته، فلن يكون هناك أية إمكانية لذلك بعد هذه السن. لأنه عندما يصبح كائنًا جنسيًا يصبح شخصًا قويًا. قبل سن الرابعة عشرة، كان ضعيفًا، ورقيقًا، وأنثويًا. قبل هذا السن كان بإمكانك أن تحشو رأسه بأي شيء، وسوف يصدق ويفعل كل ما تقوله.

بعد سن الرابعة عشرة، يبرز المنطق، والشك، والجنس. ومع النضج الجنسي، يصبح الفرد مستقلاً، وبإمكانه أن يصبح أبًا أو أمًا. إذًا، الطبيعة، أو البيولوجيا، تجعل الشخص مستقلاً عن أهله في سن

الرابعة عشرة. وهذا أمر معروف قبل أن يدخل علماء النفس إلى هذا العالم. وقد تحقق منه الكهنة منذ آلاف السنين وتبيّن لهم أنه إذا أردت أن تكبت الطفل، وأن تجعله اتكاليًا، حاول أن تفعل ذلك في أبكر سن ممكنة. إذا تمكنت من القيام بذلك قبل سن السابعة، فإن النجاح مضمون. وإذا لم تتمكن من القيام بذلك حتى سن الرابعة عشرة، يصبح من المستحيل لاحقًا.

لهذا السبب نرى أن الجميع يهتم بالأطفال وثقافتهم. جميع الديانات تهتم بذلك لتلقين الأطفال ثقافة دينية يسهل معها تطبيعهم قبل أن يصبحوا أفرادًا مستقلين.

بذلك يصبح أهم عمل يمكن أن يقوم به الإنسان الذي يريد أن يصبح واعيًا وحرًا، والذي لا يريد أن يُفرض عليه أية قيود، والذي يريد أن ينساب في الوجود الكلي، هو أن يتخلى عن كثير من الأشياء في الداخل. وعندما أقول، أو عندما يقول بوذا إنه يجب أن تقتل أمك وأباك، فهذا لا يعني أن عليك أن تذهب وتقتلهما فعلاً، ولكن المقصود هو قتل فكرة الأم والأب اللذين تحملهما في داخلك.

انظر وراقب وسوف تتحقق من ذلك. أنت في طريقك للقيام بعمل ما وفجأة تسمع صوت أمك: «لا تفعل ذلك!» تسمع صوتها الحقيقي، فهو على شريط مسجل في داخلك. تريد أن تتناول بعض البوظة، فجأة تسمع أمك تخاطبك من الداخل: «لا تأكل كمية كبيرة من البوظة، لقد أكلت ما فيه الكفاية، توقف عن الأكل!» وعند ذلك يراودك الشعور بالذنب.

إذا أردت ممارسة الحب مع امرأة، ترى فجأة جميع المدرسين يصطفون في خط واحد ويقولون لك: «سوف ترتكب جريمة، سوف ترتكب خطيئة، إحذر، هذا فخ، أهرب قبل فوات الأوان». حتى عندما تمارس الحب مع زوجتك، يدخل بينكما الأهل والمدرسون ويدمرون هذه اللحظة.

من النادر أن تجد رجلاً أو امرأة قادرين على ممارسة الحب بعفوية. لأننا تعلمنا لسنين طويلة أن ممارسة الحب هي شيء خاطئ. كيف يمكنك أن تتخلص من هذه الفكرة فجأة؟ تحتاج إلى شجاعة هائلة لتتمكن من إسكات كل هذه الأصوات في داخلك، ويجب أن تكون مستعدًا للتخلص من كل هذه الأصوات، مستعدًا للمخاطرة، وللتوجه نحو المجهول من دون أية خريطة.

كان ألكسندر أليوت Alexander Elliot يدرس بإشراف أحد معلمي الزن، وكان قد مارس التأمل لشهور عديدة. في إحدى الليالي رأى حلمًا غريبًا. وكان أتباع الزن يعرفون هذا الحلم، ولكن بالنسبة لأليوت، كان الحلم غريبًا؛ كان رجلاً غريبًا، وقد صدمه الحلم. لنستمع إليه يروي هذا الحلم...

«رأيت مؤخرًا حلمًا ظهر فيه بودايدهارما Bodhidharma. كان رجلاً ضخمًا، مستديرًا، يشبه الأشباح، وله عينان ناتئتان وحاجبان منتفخان».

بودايدهارما هو رجل خطر، مثلي أنا. ولقد رسم أتباع الزن وجهه بهذه الطريقة التي تجعله يبدو رجلاً خطرًا. لم يكن يشبهني جسديًا. فقد كان من أجمل الرجال ـ ولكن لو رأيت إحدى صوره، لتملكك الخوف. لو نظرت إلى عينيه، لبدا لك مجرمًا قاتلاً، وكأنه سيقتلك. ولكن هذا كل ما يفعله المعلم. حتى في الحلم، تملّك الخوف ألكسندر أليوت وأصابته الرجفة.

«هل كان مبتسمًا، أم مكشرًا؟ شعر لحيته اللامع والخشن لم يسمح لي بالتأكد من ذلك. همس في أذني قائلاً: يبدو أنك رجل ناضج، ومع ذلك لم تقتل أي شخص حتى الآن، ما السبب؟».

أُصيب أليوت بالذعر واستيقظ من نومه وهو يرتجف ويتصبب عرقًا. «ماذا يقصد هذا الرجل الغريب: لماذا لم تقتل أحدًا حتى الآن؟».

هذا ما أعنيه عندما أقول إنه إذا لم تشعر أنك قد بلغت النضج حتى الآن، فهذا دليل على أنك لم تقتل أحدًا حتى الآن. أنت في سن الخمسين، ولقد أصبح الوقت متأخرًا - فلا تضِع الآن أي وقت، اقتل على الفور كل الانطباعات في داخلك، أخرج جميع أشرطة التسجيل من دماغك، نظّف عقلك كليًا.

عش حياتك منذ هذه اللحظة وكأنك لا تعرف شيئًا، وكأنك لم تتعلم أي شيء من أحد - لقد أصبحت نظيفًا، نقيًا. ابتدئ من نقطة الصفر، وسترى أنك ستبلغ النضج في وقت قريب. ومن دون النضج لا قيمة للحياة، لأن كل ما هو جميل وكل ما هو عظيم، يحصل فقط داخل عقل ناضج. أن نبلغ النضج هو نعمة مباركة. ولكن الناس يكبرون في السن ولا ينضجون. يتقدمون بالعمر ويتراجعون بالوعي.

تولّ مسؤولية حياتك - إنها حياتك. لست موجودًا هنا لتحقق توقعات أي من الناس. لا تعش حياة والدتك، لا تعش حياة والدك، عش حياتك.

الحياة من غير موقف محدد

تارة تشدد على أن نكون ناضجين، وتارة أخرى تقول: «كن كالطفل». إذا تبنيت موقفًا ناضجًا، أشعر أن الطفل مكبوت في داخلي ومتعطش للتعبير عن نفسه. وإذا سمحت للطفل في داخلي أن يرقص ويغني، عندها تظهر المواقف الطفلية. ما العمل؟

أن تكون ناضجًا لا يعني أن تتبنّى موقفًا ناضجًا. في الواقع، عندما نتبنّى موقفًا ناضجًا نكون قد أقمنا عوائق لعملية النضج. والتبني يعني شيئًا مفروضًا تدرّبنا عليه ومارسناه. يعني أنه شيء غير نابع منك، قناع، وجه مرسوم، ليس ذاتك الحقيقية. وهذا ما يفعله الجميع. لهذا السبب يبدو الناس ناضجين غير أنهم في الحقيقة غير

ناضجين على الإطلاق. لقد تبنوا مواقف معيّنة عبر السنين وبقوا في حالة الطفولة. ونضجهم في غاية السطحية.

حاول أن تمتحن رجلاً ما وسترى الطفل يخرج منه. وأنا لا أعني رجلاً عاديًا فقط، بل رجال السياسة والقادة. راقب أي برلمان في العالم، وسترى مشهدًا يضم مجموعة كبيرة من الأشخاص غير الناضجين، لم تر مثله من قبل.

كان الإنسان ولا يزال يخدع نفسه والآخرين. إذا تبنّيت أفكار الآخرين، أصبحت مزيفًا. وأنا لم أطلب منك أن تتبنّى أي شيء. كن ذاتك، لأن التبني يعيق تكون الذات. والطريقة الوحيدة لتكون ذاتك، هي أن تبدأ من البداية. وبما أن أهلك لم يسمحوا لك بأن تكون ذاتك أثناء الطفولة، فأنت عالق في مرحلة معيّنة. إن متوسط العمر العقلي للأشخاص العاديين لا يتجاوز الثلاث عشرة سنة. وقد يكون عمرك الزمني سبعين سنة ولكن عمرك العقلي يبقي عالقًا في المرحلة التي سبقت نضجك الجنسي. في اللحظة التي يبلغ فيها الفرد النضج الجنسي في سن الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة، تتكون لديه شخصية واضحة. بعد ذلك يبدأ باعتماد الكذب والزيف حتى النهاية. يصبح كومة من النفايات - وهذه هي الشخصية. يجب أن نتخلى عن الشخصية لتظهر ذاتنا الحقيقية. الشخصية ليست سوى صالة عرض، وليست حقيقية.

إن ذاتك الفردية هي حقيقتك. وهي لا تتغيّر ولا يتغيّر طعمها في كل المستويات. لقد نُقل عن بوذا أنه قال: «يمكنك أن تذوق طعمي في أي مكان، وستجد نفس الطعم، كما لو أنك تذوق طعم المحيط في أي مكان وتجده مالحًا». إن الذات الفردية هي وحدة متكاملة، عضوية. والشخصية هي فصامية: الذات الحقيقية شيء والغلاف الخارجي شيء آخر، ولا يلتقيان أبدًا. وليس هذا فقط بل يشكلان قطبين متعارضين. وهما في حالة صراع دائم.

أول شيء يجب أن نفهمه هو أن لا نتبنى موقفًا ناضجًا. كن إما ناضجًا وإما غير ناضج. إذا كنت غير ناضج، فكن غير ناضج - هذا سيسهل عملية النضج. ولكن دع مظاهر عدم النضج تطفو إلى الخارج؛ ولا تكن مزيفًا. لا تكن كاذبًا. إذا كنت طفلاً، فأنت كذلك - ما المشكلة؟ كن طفلاً. تقبل ذلك. لا تخلق انقسامًا في ذاتك، وإلا خلقت حالة جنون. كن ذاتك فقط.

لا ضير في أن تكون طفلاً. بما أنك تعلّمت أن المجتمع ينظر نظرة سلبية حيال الأطفال، فقد تبنيت موقفًا مشابهًا. لقد حاولت أن تصبح ناضجًا منذ طفولتك، وكيف يمكن للطفل أن يكون ناضجًا؟ الطفل هو طفل، ويجب أن يكون طفلاً.

ولكن هذا غير مسموح، لذلك يصبح الأطفال ديبلوماسيين - يبدأون بالتصرف بطريقة مزيّفة، ويصبحون كذبة منذ البداية وتأخذ الكذبة بالتعاظم. وفي مرحلة معيّنة يبدأون بالبحث عن الحقيقة، والحقيقة موجودة في داخلك. إنها هبة من الله. وكل إنسان يُخلق مزوّدًا بالحقيقة - والحياة هي الحقيقة.

كن شجاعًا. قد تشعر ببعض الخوف من جرّاء ذلك، لأنك عندما تتخلى عن شخصيتك، تظهر طبيعتك الطفلية التي لم يُسمح لها بالظهور وتشعر بالخوف «ماذا، سأتصرف بطريقة طفلية في هذه السن؟ والجميع يعلم أنني أستاذ كبير، أو طبيب، أو مهندس. أنا أحمل شهادة الدكتوراه وسأتصرف بطريقة طفلية؟» يتملكك الخوف... الخوف من الرأي العام.

هذا الخوف هو الذي تسبّب بتدميرك منذ البداية: «ماذا سيظن والدي؟ ماذا ستظن والدتي؟ ماذا سيظن الناس؟» ويبدأ الطفل الصغير بالاحتيال - لن يظهر على حقيقته. إنه يعلم أن هذا غير مقبول من قبل المجتمع، لذلك يرتدي قناعًا. وسيُظهر للناس ما يريدون أن يروه. وهذا ما نسميه سياسة أو ديبلوماسية - هذا هو السم بذاته.

الجميع سياسيون. تبتسم لأن البسمة تحقق لك ما تريد، أو تبكي لأن الناس تتوقع منك البكاء. تقول بعض الأشياء لتسهّل الأمور على نفسك. تقول لزوجتك: «أحبك»، لأن ذلك يبقيها صامتة ومسالمة. تقول الزوجة لزوجها: «لن أحيا لحظة واحدة من بعدك، أنت الإنسان الوحيد في حياتي، أنت حياتي»، لأنه يتوقع منها أن تقول ذلك وليس لأنها تشعر بذلك. وعندما تشعر بذلك، فإنها عبارة جميلة، زهرة حقيقية. عندما تقول الزوجة ذلك لترضي غرور زوجها، لتحصل على شيء منه، تصبح هذه العبارة وردة اصطناعية، وردة بلاستيكية.

وهناك كثير من البلاستيك في هذه الحياة - وهنا تكمن المشكلة. إن العالم الدنيوي ليس المشكلة. ورجال الدين لا يتوقفون عن المطالبة بالتخلي عن العالم الدنيوي. وأما أنا فأقول لكم إن المشكلة ليست في العالم الدنيوي. تخلّوا عن الزيف - هذه هي المشكلة. تخلّوا عن الاصطناعي - هذه هي المشكلة. لست بحاجة للتخلي عن عائلتك، ولكن يجب أن تتخلى عن التظاهر والادعاء الكاذب في علاقاتك العائلية. كن صادقًا، كن أصيلاً. سيعرّضك الصدق والأصالة لألم شديد بعض الأحيان، فهما مكلفان. أما الكذب والزيف فهما رخيصان ومريحان. إنهما خدعة، وطريقة لحماية نفسك، ودرع وقاية. ولكن ذلك سيفقدك الحقيقة التي تحملها في داخلك. ولن تتمكن من معرفة الله، لأنه لا يمكن التعرف إلى الله إلا من خلال الذات. كيف يمكنك أن ترى الله في ذاتك وأنت تخلق الأكاذيب حولك لتخفي هذه الذات؟ أنت تائه في غابة الأكاذيب.

قال فريدريك نيتشه Friedrich Nietzsche إن الإنسان لا يمكن أن يحيا من غير أكاذيب؛ وهو محق حيال 99% من الناس. لأن الكذب يعمل كمخفف للصدمات ومانع للاحتكاك. يخفف أو يبعد احتمال التصادم مع الآخرين. تبتسم ويبتسم لك الآخرون. قد تكون غاضبًا ومستاءً من زوجتك ومع ذلك تقول لها «أحبك». لأن التعبير عن الغضب قد يسبب لك مشكلة.

ولكن تذكّر، إذا لم تكن قادرًا على التعبير عن غضبك فلن تتمكن من التعبير عن حبك. وعندما نلجأ إلى كبت مشاعر الغضب، لن نتمكن من التعبير عن المشاعر الأخرى لأن جميع المشاعر مترابطة. لا يوجد مناطق عازلة تفصل بين الغضب والحب. إنها مشاعر مختلطة بعضها ببعض. إنها نابعة من نفس الطاقة، وإذا كبتت الغضب، فستكبت الحب أيضًا. وعندما تعبّر عن حبك، ستفاجأ بأن الغضب يبرز مع الحب أيضًا. فإما أن تكبت جميع المشاعر، أو تطلقها جميعًا. يجب أن تفهم هذه المعادلة الحسابية لوحدتك العضوية الداخلية. إما أن تكون معبّرًا، وإما قمعيًا. ليس لديك الخيار أن تعبّر عن مشاعر الحب، وتكبت مشاعر الغضب. عندها سيكون حبك مزيفًا، ولا يتمتع بأي مقدار من الدفء والحرارة. سيكون مجرد لياقة اجتماعية، ظاهرة عادية، وستخشى دائمًا أن تتعمق في هذا الحب.

الناس يتظاهرون بالحب لأن هذا ما هو متوقع منهم. يحبون أطفالهم، وأزواجهم، وأصدقاءهم ظاهريًا. إنهم يتممون واجباتهم الاجتماعية من دون أي مشاعر فرح. يأتي الوالد إلى المنزل ويربّت على رقبة طفله لأن هذا متوقع منه، ولا وجود لأية دلائل فرح في هذا السلوك؛ إنه في غاية البرودة. والطفل يشعر بالإحراج ولن يتمكن أن يغفر لأبيه هذا السلوك البارد الذي هو في منتهى البشاعة.

يقوم الرجل بممارسة الحب مع زوجته ولكنه لا ينصهر كليًا في ذلك. عندما تنصهر كزوج أو كزوجة في ممارسة الحب، وعندما تركز كل طاقتك ومشاعرك على هذه اللحظة، فإنها ستأخذك بعيدًا، إلى أقصى مشاعر السعادة، إلى النشوة. ولكن إذا لم تسمح لنفسك بالانصهار بمشاعر الغضب في داخلك، فلن تتمكن من الانصهار بمشاعر الحب. وعندما تنصهر بمشاعر الحب، وتمارس الحب بحماسة فائقة، قد تصبح متوحشًا، وقد تنبعث من داخلك كل المشاعر المكبوتة، وخاصة مشاعر الغضب، وتصبح كالمجنون.

ولتحاشي هذا الجنون، يمارس الإنسان الحب بطريقة سطحية. ويصف البعض ممارسة الحب بالعطاس، يريح الإنسان من بعض التوترات ويجعله يشعر بالاسترخاء. وإذا لم تتعرف إلى الحب كعامل محرر، كمشاعر نشوة، فأنت لم تعرف الحب الحقيقي. وهذا لن يحصل إذا كنت شخصًا مزيفًا. يجب أن تكون صادقًا وأصيلاً، وأن تسمح لنفسك بالغضب، والضحك، وذرف الدموع. يجب أن تحرر جميع مشاعرك. يجب أن تحيا حياة متحررة. وعندما أقول متحررة، لا أقصد فاسقة. وحياة التحرر قد تكون في غاية الانضباط، ولكن الانضباط غير مفروض من الخارج، وإنما يأتي من الذات، من الخبرات العديدة المتنوعة التي تساعدنا على فهم الحقيقة.

إن كلمة الانضباط باللغة الإنكليزية Discipline تعني القدرة على التعلّم. ومن هنا تأتي كلمة تلميذ Disciple. والرجل المنضبط هو الذي يتعلم من تجاربه في الحياة. يجرّب كل شيء من دون خوف، ويستكشف، ويخاطر، ويبحث في المجهول، ولا يخاف ارتكاب الأخطاء، ولا يخاف سخرية الآخرين.

إن الأشخاص الذين يتحلون بما يكفي من الشجاعة لندعوهم بالمجانين، هم فقط قادرون على أن يحيوا، ويحبوا، ويكونوا ذاتهم الحقيقية.

والنضج يتولد من عدد أكبر وأعمق من تجارب الحياة، وليس من تحاشي الحياة. عندما نتحاشى الحياة، نبقى أطفالاً.

أريد أن أوضح شيئًا آخر: عندما أقول: كن مثل الطفل، لا أقصد كن طفلاً. إن الطفل لا يمكن إلا أن يكون طفلاً، وإلا فإنه سيضيّع تجارب الطفولة الرائعة. وأن تكون طفلاً يعني أنك لم تنضج بعد حتى ولو كنت كبيرًا في السن. أما أن تكون مثل الطفل فهذا شيء مختلف كليًا. ماذا يعني أن تكون مثل الطفل؟ أولاً، الطفل هو في غاية التكامل - مهما كان العمل الذي يقوم به الطفل فإنه ينصهر به كليًا. إذا كان يلتقط الأصداف على شاطئ البحر، يختفي كل شيء آخر من وعيه؛ إن وعيه محصور

بالأصداف. وميّزة التكامل هذه هي من ميّزات الطفل الجوهرية. ثانيًا، الطفل بريء. ينطلق بأفعاله من حالة اللامعرفة. وهو لا يتصرف عن معرفة، لأن ليس لديه أية معرفة. أما الشخص الراشد فهو دائمًا يتصرف عن معرفة. والمعرفة تعني الماضي، وتعني ما اقتبسته وما جمعته خلال سنين طويلة. ولكن كل وضعية جديدة تختلف عن سابقاتها ولا يمكن فهمها من خلال معرفتنا السابقة. أنا لا أقصد الهندسة والتكنولوجيا ـ هنا يمكن تطبيق المعرفة السابقة لأن الآلة تبقى آلة. ولكن عندما نتصرف في محيط إنساني، عندما نتواصل مع أشخاص أحياء، فإن كل وضعية جديدة تختلف عن سابقاتها. وكل وضعية جديدة هي فريدة من نوعها. وإذا كنت تريد أن تتصرف بطريقة سليمة في هذه الوضعية الجديدة، يجب أن تتصرف بحالة جهل، مثل الطفل. لا تحضر معرفتك السابقة. استجب للوضعية الجديدة على أنها جديدة، ولا تستجب لها من خلال معرفتك القديمة. لأنك إذا فعلت ذلك تضيّع الفرصة: لن يكون هناك أي جسر ليربط بينك وبين ما يحصل حولك. سوف تصل متأخرًا، وسوف يفوتك القطار.

يرى الناس قطارًا في أحلامهم مرات عديدة، والذي يحصل هو أن القطار يفوتهم دائمًا. في الحلم، يسرع الشخص ويركض للوصول إلى المحطة، وفور وصوله إلى المحطة، يكون القطار قد غادرها. هذا الحلم يراه ملايين من الناس، وهو من أكثر الأحلام شيوعًا. لماذا يراود هذا الحلم ملايين من الناس مرات عديدة؟ لأنهم يضيّعون فرص الحياة، لأنهم يصلون دائمًا متأخرين. هناك دائمًا فجوة، يحاولون تخطيها، ولكن لا يوجد جسر ليعبروا عليه. لا يمكنهم التواصل، فهناك عوائق دائمًا. ما سبب ذلك؟ المعرفة هي العائق.

أنا أعلّمك الجهل. وعندما أقول كن مثل الطفل، أقصد استمر بالتعلم دائمًا، ولكن لا تصبح صاحب معرفة واسعة. لأن المعرفة هي من الماضي، هي ميتة، أما التعلم فهو عملية حية.

ألم تراقب وترى ذلك؟ الأطفال الصغار يتعلمون بسرعة. إذا كان الطفل يعيش في بيئة متعددة اللغات فإنه يتعلم جميع هذه اللغات. يتعلم اللغة التي تتكلمها الوالدة، والتي يتكلمها الوالد، والتي يتكلمها الجار - يمكنه أن يتعلم ثلاث، أو أربع، أو خمس لغات بسهولة. أما أنت فعندما تتعلم لغة واحدة يصبح من الصعب أن تتعلم لغة ثانية لأن المعرفة القديمة ستعيق ذلك. هناك مثل يقول، لا يمكنك أن تعلّم الكلب المُسِنّ ألاعيب جديدة، وهذا صحيح. ولكن ما الذي يجعل الكلب مُسنًا؟ ليس العمر الزمني، لأن سقراط استمر في التعلم حتى نهاية أيامه. وبوذا يتعلم حتى النهاية. ماذا يجعل الكلب مُسنًا؟ المعرفة تجعل الكلب مُسنًا.

بوذا يبقى شابًا، وكريشنا يبقى شابًا. لا يوجد أي تمثال لبوذا أو كريشنا يظهرهما كبيري السن. لا لأنهما لم يكبرا بالسن! فقد عاش كريشنا حتى الثمانين من العمر، وأصبح مسنًا، ولكن لم تفارقه روح الشباب والطفولة. كان دائمًا يتصرف انطلاقًا من حالة لامعرفة.

إذًا، عندما أقول كن مثل الطفل، أعني أولاً، كن متكاملاً. وثانيًا، استمر في التعلم، وتصرّف انطلاقًا من حالة اللامعرفة. وهذه هي البراءة، أن نتصرف من غير معرفة.

والشيء الثالث والأخير: الطفل يتمتع بميزة الثقة بصورة طبيعية؛ وإلا لما تمكن من الاستمرار في الحياة. وعندما يولد الطفل يثق بوالدته، ويثق بأن حليب الأم سيعطيه ما هو بحاجة إليه من الغذاء، ويثق بأن كل شيء سيكون على ما يرام. ثقته مطلقة، لا يشك بأي شيء ولا يخشى أي شيء. ثقته العالية تخيف الأم لأنها تخشى أن تعرّضه هذه الثقة للأذية.

إذا كان بإمكانك أن تعرف معنى الثقة، وإذا كان بإمكانك أن تتعلم طريق الثقة مجددًا، عند ذلك فقط ستعرف معنى الألوهية، وعند ذلك فقط ستعرف ما هي الحقيقة.

العلم يعتمد على الشك - ولهذا السبب أصبحت الثقافة بمجملها ثقافة شك. ولا يمكن للعلم أن يتقدم من غير الاعتماد على الشك.

والتدين يعتمد على الثقة، ولا يمكن أن يتحقق من دون ثقة. وهذا يعني أنهما على طرفي نقيض.

تذكّر أنه إذا أدخلت الثقة في العمل العلمي، لن تتوصل إلى نتيجة. لن تتوصل إلى أي اكتشاف. إن الشك هو الطريقة المتبعة هنا. ويجب أن تعتمد الشك في كل مرحلة حتى تصل إلى مرحلة يُلغى فيها الشك. عندها فقط يمكنك أن تقول إنك توصلت إلى حقيقة علمية - مع إبقاء ذرة من الشك بأن الغد قد يجلب وقائع جديدة تدحض الحقيقة العلمية التي توصلت إليها. حتى الآن... العلم لم يتمكن من الوصول إلى أية حقيقة نهائية، ولكنه توصّل لبعض الحقائق المؤقتة، التقريبية. والحقائق العلمية مقبولة حتى الآن فقط، لأنه من يعلم؟ لأن الباحثين قد يعثرون على معطيات جديدة، وعلى وقائع جديدة. إذًا، العلوم لا تتعدى كونها افتراضات اعتباطية مؤقتة. وما اكتشفه نيوتن أصبح غير مقبول علميًا بعد اكتشافات آينشتاين، وما اكتشفه آينشتاين قد يصبح غير مقبول علميًا في المستقبل إذا تمكن أحد العلماء من اكتشاف حقائق جديدة تناقض نظريته. وفي العلوم، الشك هو المنهجية الوحيدة. ولا حاجة على الإطلاق للثقة. تثق بنتائج الأبحاث فقط عندما لا يكون هناك أية إمكانية للشك ـ وهذا أيضًا بصورة مؤقتة.

إن الدين هو على طرف نقيض من العلوم. وكما أن الشك هو المنهجية المعتمدة في العلوم، فإن الثقة هي المنهجية المعتمدة في الدين. ماذا تعني الثقة؟ تعني أننا غير منفصلين عن الوجود، وأننا جزء منه، وأنه مسكننا، وأننا ننتمي إلى الكون وهو ينتمي إلينا. يعني أننا غير مشرّدين، والكون هو الكون الأم. ويمكننا أن نثق بالكون بنفس الطريقة التي يثق بها الطفل بأن الأم ستعتني به عندما يحتاج إليها - ستطعمه عندما يجوع، وستمنحه دفء الحنان والمحبة عندما يشعر بالبرد. الطفل كله ثقة. وكل ما عليه أن يقوم به عندما يحتاج لأي شيء هو الصراخ لاجتذاب انتباه الأم. والدين يقول إن الكون هو أمنا أو أبونا.

الدين هو مقاربة طفلية للوجود يصبح الكون هو الأم أو الأب. أنت لست في مواجهة الطبيعة، ولا تقاتل الطبيعة. هناك تعاون متواصل. والقتال يبدو في غاية السخافة والحماقة.

والشك لا يؤدي إلى نتيجة في التجربة الدينية، كما أن الثقة لا تؤدي إلى نتيجة في الأبحاث العلمية. العلم يعني استكشاف الخارج والدين يعني استكشاف الداخل.

الشك هو المدخل إلى الأشياء المادية. والثقة هي المدخل إلى الوجود. فقط من خلال الثقة يمكن أن نتعرف إلى الله.

تذكر أن التفكير الخاطئ قد يسير باتجاهين مختلفين. الكنيسة ورجال الدين كانوا يقاتلون العلم، وكان هذا القتال غير منطقي لأن الكنيسة أرادت أن يعتمد العلم على الثقة. والآن ينتقم العلم من الكنيسة - الآن يريد العلم أن يعتمد الدين على الشك، على المنطق. والإنسان أحمق لأنه لا يتوقف عن تكرار نفس الخطأ مجددًا. كانت الكنيسة حمقاء في القرون الوسطى؛ والآن يرتكب الأشخاص الذين يعتقدون أنهم علماء نفس الحماقة ذاتها.

يقول الإنسان المتفهم إن للشك عالمه الخاص. ويمكن أن تستخدم الشك كطريقة علمية، ولكن مجال هذه الطريقة محدود. وللثقة عالمها الخاص أيضًا، ومجالها محدود أيضًا. ولا داعي لاستخدام الثقة لمعرفة الأشياء المادية، ولا داعي لاستخدام الشك لمعرفة الأشياء الباطنية. لو استخدمت الثقة في الأبحاث العلمية، لما ولدت العلوم على الإطلاق. ولهذا السبب بقيت العلوم في حالة بدائية في الشرق.

لقد صادفت بعض العلماء الهنود ـ في الهند، حتى العلماء الذين يحصلون على ثقافتهم في الغرب، والذين ربما حازوا على جوائز قيّمة مثل جائزة نوبل، لا يزالون في أعماقهم، غير علميين، ويؤمنون بالخرافات. إنه يحاول بطريقة ما - عن قصد أو غير قصد، بطريقة واعية أو لا واعية - أن يفرض إيمانه على العالم الخارجي. والشخص

المتديّن في الغرب يبقى مُشككًا في أعماقه. لقد استكشف الغرب إمكانيات الشك والشرق استكشف إمكانيات الثقة.

يجب أن نستخدم الطريقتين. ومن يستخدم الطريقتين، أسمّيه الرجل المتفهم. عندما يعمل في مختبر علمي، يستخدم طريقة الشك والمنطق؛ وعندما يصلي في المعبد، يتأمل، ويستخدم الثقة. وهو متحرر - غير مقيّد بالشك، وغير مقيّد بالثقة.

لا تسمح لعينيك أو أذنيك أن يقيّداك، وإلا ستبقى فقيرًا. أنت تملك الاثنين. عندما تريد أن ترى، استخدم عينيك، وعندما تريد أن تصغي أغمض عينيك. ليس مصادفة أن الناس تغمض أعينها عندما تستمع إلى الموسيقى. وإذا كنت تعرف كيف تصغي إلى الموسيقى ستغمض عينيك، لأنه لا حاجة لهما.

الطفلية هي حالة انفعالية عاطفية. وأنت لست بحاجة لذلك. يجب أن نسمح للطفل أن يتصرف بطريقة طفلية، كما يجب أن نسمح للراشد أن يتصرف بطريقة راشدة. ويمكن للراشد أن يكون مثل الطفل. ولكن لا حاجة للتصرفات الطفلية، كثورات الغضب أو الانفعالات العاطفية. يمكن للنضج أن يتكيّف على أكمل وجه مع الميّزات التي تشبه ميّزات الطفل. لا تناقض بين الاثنين. في الواقع، لا يمكنك أن تصبح ناضجًا إذا لم تكن مثل الطفل.

ولكن إذا لم تعش طفولتك في سن الطفولة، يجب أن تسمح لها بحرية التعبير. دعها تظهر وتحقق الرغبات الطفلية المكبوتة في لاوعيك في أقرب وقت. لأنه إذا لم تفعل ذلك، سترافقك إلى النهاية. إذا سمحت لها بحرية التعبير ستفارقك في وقت قريب بعد أن تحقق الرغبات الطفلية وستشعر بعد ذلك بالرضى والاكتفاء. بعد أن تحقق رغبات الطفولة المكبوتة، ستختفي الطفلية من تصرفاتك ويصبح الطفل في داخلك مكتملاً. بعد ذلك يبدأ هذا الطفل بالسير في طريق النضج. ولا

يمكنك إن تحقق النضج وأنت تحمل كل هذه الأكاذيب في داخلك. وسوف تحقق النضج فقط عندما تصبح صادقًا، وحقيقيًا.

من الجنس إلى الشهوات الحسّية

هل يمكن فعلاً أن نتحرر من الجنس من خلال ممارسته؟ يبدو أن عقلي وجسدي لا يتوقفان عن المطالبة به.

ولكن لماذا أنت بعجلة لتتخلى عن الجنس؟ هذه العجلة ستجعلك غير قادر على التخلي عنه. هذه العجلة لن تمكنك من فهمه كليًا. كيف بإمكانك أن تفهم شيئًا إذا قررت أنه خاطئ، ويجب التخلي عنه؟ لقد أصدرت حكمك بطريقة عاجلة! امنح مشاعرك الجنسية فرصة التعبير.

لقد علمت أن الملّا نصر الدين عُيّن قاضي زواج. بعد أن استمع لأحد الأطراف في أول قضية زواج عرضت عليه قال: «انتظر، ثم استمع إلى حكمي». أصابت الدهشة كاتب المحكمة لأنه لم يستمع إلى الطرف الثاني.

انحنى الكاتب بقرب القاضي نصر الدين وقال: «ماذا تفعل يا سيدي؟ كيف تصدر حكمًا؟ لم تستمع إلى الطرف الثاني بعد!».

قال نصر الدين: «ماذا تعني بالطرف الثاني؟ هل تريد أن تشوّش أفكاري؟ الآن تبدو الأمور واضحة! وإذا استمعت إلى الطرف الآخر ستصبح أفكاري مشوّشة. بعدها يصبح من الصعب إصدار الحكم». ولكن هل يكون ذلك حكمًا؟ لم تستمع إلى الطرف الآخر على الإطلاق. لقد استمعت إلى القديسين على مدى العصور، وهم يتكلمون بصوت عال. تحولت طاقتهم الجنسية بكلّيتها إلى بلاغة كلامية ضد الجنس. ولكنك لم تستمع أبدًا إلى مشاعرك الجنسية لتعرف ماذا ستقول. أنا لا أطلب منك أن تحافظ على مشاعرك الجنسية أو تتخلى عنها، أنا لا اطلب منك أن تكون متحيّزًا لأي موقف، وكل ما أطلبه منك هو أن تكون منفتحًا. تأمل بعمق عندما تمارس الحب، حاول أن تخترق

مشاعرك من خـلال التـأمل أثنـاء ممارسـة الحـب. راقـب، تخـلّ عـن كـل أفكارك المسبقة التي تشرّبتها من المجتمع - كل محاولات التطبيع ضد الجنس هذه تجعلك أكثر رغبة في ممارسة الجنس. والمشكلة ليست في الطاقة الجنسية. ولكن العقل المناهض للجنس هو الذي يخلق الانحرافات الجنسية.

أتبـاع بـوذا راقبـوه ورأوه يتخلـى عـن الجنـس فقـرروا أنـه يجب التخلي عن الجنس. اعتقدوا أنه يجب أن تتخلى عن الجنس لتصبح بوذا. ولكن ذلك هو وضع الأمور في غير نصابها. لقد تخلى بوذا عن الجنس لأنه توصل إلى معرفة ذاته الحقيقية، وليس العكس. لم يصبح بوذا لأنه تخلى عن الجنس - لقد أصبح بوذا أولاً وبسبب ذلك اختفى الجنس. ولكن من الخارج راقبه أتباعه وشاهدوا الجنس يختفي من حياته فقرروا أن عليهم التخلي عن الجنس إذا أرادوا أن يصـبحوا مثـل بـوذا. وبـوذا لا يبـدي أي اهتمـام بـالمال، فاعتقـدوا أنـه «إذا أردت أن تصـبح مثـل بـوذا، يجـب أن تتخلى عن أي اهتمام بالمال».

ولكن جميع هذه المقاربات خاطئة! هؤلاء الأتباع يسيئون فهم النتيجة على أنها السبب. والسبب هو في داخل بوذا. لقد أصبح واعيًا لذاته الداخلية. وعندما يصبح الإنسان واعيًا لذاته الداخلية، تغمره السعادة ويفقد اهتمامه بالأمور الماديـة. والجنـس والمـال لـيس لـهما أيـة أهميـة الآن. لـن تستعطف أي إنسان بعد الآن ليحقق لك رغباتك المادية. عنـدما تكـون الإمبـراطور، وتملـك، الخزينـة المطلقـة فـي داخلـك، لـن تـذهب لأي امـرأة وتسـتعطفها بعـض لحظـات المتعة المادية.

أنا لا أقول أن ممارسة الجنس أمر خاطئ. إذا لم تصبح بـوذا بعـد، لا داعـي لأن تتخلـى عـن الجنـس. وفـي الـوقت الحالي، تحاش إصدار الأحكام. حاول أن تراقب نفسك عن كثب، وكن أكثر تقبلاً لطاقتك ولا تدعها تسبّب لك التوتر، وإلا ستواجه مشكلة. لقد واجه القديسون المسيحيون هذه المشكلة مدى العصور.

لقد علمت بأمر جيروم Jerome، أحد القديسين المسيحيين المشهورين. كان معاديًا للجسد لدرجة أنه كان يجلد نفسه يوميًا. كان الدم يتدفق من جسده وكان آلاف الناس يأتون لمشاهدة هذا العمل التقشفي الرائع. أنا أعتبر أن كلاهما مريض: جيروم مازوشي Masochist يستمتع بتعذيب نفسه والناس ساديّون Sadists يستمتعون برؤية هذا الشخص يتعذب.

أدان جيروم الجسد على أنه قذر، وأنه كيس يتجمع فيه الغائط. كانت رؤى الفتيات الجميلات تطارده في كهفه وتسبب له العذاب. لقد سمح بالزواج والضغينة تملأ قلبه - لأن الزواج هو الوسيلة الوحيدة لخلق العذارى اللواتي يعتبرهن المخلوقات الوحيدة التي تتحلى بالكمال على الأرض. إذًا، الجنس هو شر لا بد منه.

قديس آخر، هو كليمنت الإسكندراني Clement of Alexandria، كتب ما يلي: «يجب أن تغمر كل امرأة مشاعر الخزي لكونها امرأة، لأنها المدخل إلى الجحيم».

لقد أدهشني هؤلاء الأشخاص دائمًا. إذا كانت المرأة هي المدخل إلى الجحيم، فهذا يعني أن المرأة لا تدخل الجحيم ـ المدخل لا يمكنه المرور. والرجل يمكنه الدخول إلى الجحيم من خلال المرأة. ولكن ماذا عن النساء؟ يجب أن يكنّ جميعهن في الجنة بالطبع!

لقد كُتبت جميع هذه الأقوال من قِبل الرجال. وجميع هؤلاء القديسين هم رجال.

في الواقع لم تكن المرأة عُصابية بهذا الشكل على الإطلاق؛ لذلك لا يوجد كثير من القديسات. لقد كانت النساء مخلوقات طبيعية، متواضعة. لم يكنّ حمقاوات كالرجال. إنهن مخلوقات أكثر رقة ونعومة، أكثر توازنًا، وتجذرًا في الأرض. لذلك لم تسمع بامرأة مشابهة لكليمنت الإسكندراني. لم تسمع بأي امرأة تقول إن الرجل هو المدخل إلى الجحيم.

وهذا لا يعني أن النساء لم يكنّ متصوّفات. كلا، كان هناك ميرا Meera، وربيعة Rabiya، ولالا Lalla في كشمير ـ ولكنهن لم يقلن أي شيء مماثل لما قاله كليمنت. على عكس ذلك، قالت ميرا إن الحب هو المدخل إلى الله.

رجاءً، لا تناصبوا الجنس العداء. وإلا فإنكم ستقعون تكرارًا في فخه. إذا تعمدت التخلص منه، لن تتخلص منه إلى الأبد. نعم، هناك مرحلة تسمو فيها فوق الجنس ويختفي من حياتك، ولكن هذا لا يعني أنك ضد الجنس. يختفي الجنس فقط عندما تجد أمورًا أكثر أهمية تنبعث في داخلك، وليس قبل ذلك. يجب أن نجد الأسمى أولاً، وعندها يختفي الأدنى بنفسه، من دون إرغام.

حاول أن تطبّق هذه القاعدة الجوهرية في حياتك: لا تعادِ الأدنى - فتش عن الأسمى. عندما تستحوذ عليك الأمور السامية، تشعر فجأةً أنك فقدت اهتمامك بالأمور الدنيا.

أنت تسأل: «هل هذا ممكن، هل من الممكن حقًا أن نتخلى عن الجنس بممارسته؟».

أنا لا أقول ذلك. ما أقوله هو أنك إذا مارست الجنس ستتمكن من فهمه. والفهم هو الحرية، وهو المحرر.

أنا لست ضد الجنس. لا تسرع في التخلّي عنه. كيف يمكنك أن تفهمه إذا تخلّيت عنه؟ وإذا لم تفهمه، لن يختفي أبدًا. وعندما يختفي الجنس، فهذا لا يعني أنه انفصل عن كيانك، وأنك أصبحت كائنًا مجردًا من الأحاسيس. عندما يختفي الجنس، ستزداد قوة أحاسيسك لأنك ستستوعب الطاقة التي كان يشغلها.

بوذا أشد إحساسًا منك. جميع حواسه أشد حدة من حواسك - عندما يشم، أو يلمس، أو ينظر - لأن طاقته الجنسية لم تعد مركزة في أعضائه التناسلية، بل أصبحت منتشرة في كل جسده. ولذلك فهو في منتهى السحر والجمال. من أين أتى هذا السحر

والجمال؟ لقد أتى من الطاقة الجنسية - بعد أن تحوّلت وتغيّر مظهرها. إنه ذات الوحل الذي تحول إلى زهرة لوتس.

إذًا، لا تقف ضد الجنس؛ سيصبح الجنس زهرة اللوتس التي تمجدها. وعندما يتغير مظهر الجنس، ستفهم أن الجنس هو أعظم هبة من الله. إنه حياتك بأكملها، وطاقتك بأكملها. على المستويات الدنيا أو المستويات العليا، هو الطاقة الوحيدة التي تملكها. لا تناصب الجنس العداء، ولا تكن قمعيًا. مَن يقمع لا يمكنه أن يفهم. ومَن لا يفهم لن يتغير مظهره، ولن يتحوّل.

رحلة متواصلة

إن وعيك هو أكبر بكثير من الكون بأكمله. لا نهاية له. ولا يمكنك أن تصل إلى مرحلة تقول فيها: «لقد اكتفيت». هناك دائمًا المزيد والمزيد. هناك دائمًا إمكانية لأن تزداد نضجًا. والنضج هو تجربة في غاية الجمال، إذًا من يريد أن يوقفها؟

نحن متوقفون في كل المجالات. حتى عالم بوزن آينشتاين، لم يستخدم أكثر من 15% من ذكائه. ماذا نقول إذًا عن الأشخاص العاديين؟ الذين لا يستخدمون عادة أكثر من 5% من ذكائهم.

لو كان آينشتاين قادرًا على استخدام 100% من ذكائه، لاستطاع أن يعطي العالم غنى لا مثيل له.

ولو استخدم كل منا وعيه بنسبة 100%، من كان ليفكر بالذهاب إلى الجنة والعيش مع هؤلاء القديسين الأموات، المازوشيين، الذين كانت ميزتهم الوحيدة إيقاع الألم والعذاب بأنفسهم؟

لو استخدم كل منا 100% من ذكائه، لتمكنا من خلق جنة هنا على الأرض. لا حاجة لنا لأن نذهب إلى أي مكان آخر. يمكننا أن نعطي

الإنسان حياة مديدة، مليئة بالصحة والسعادة. يمكننا أن نخلق كمًا هائلاً من الثراء حتى يصبح مثل الهواء ـ لا حاجة لأحد لتخزينه.

أن تستخدم كامل ذكائك يعني بداية النضج. والوعي هو المنهجية فقط. أولاً، يجب أن تكون واعيًا لمقدار الذكاء الذي تستخدمه، أو هل تستخدم ذكاءك على الإطلاق؟ إن العقيدة والإيمان لا علاقة لهما بالذكاء. إنهما يعرقلان ذكاءك. والوعي هو طريقة لنراقب مقدار الذكاء الذي نستخدمه. وبمجرد المراقبة يتبيّن لك أنك لا تستخدم مقدارًا كافيًا. وهناك طرق عديدة يمكن بواسطتها للوعي أن يجعلك متيقظًا. استخدم هذه الطرق.

بإمكان الوعي أن يجعلك تستخدم ذكاءك بكامله، 100%.

الذكاء هو الطريق الذي يصلك بالعالم الخارجي. عالم المادة. الذكاء يقدم لك مزيدًا من العلوم والتكنولوجيا. في الواقع، ليس الإنسان بحاجة لأن يعمل بعد الآن، لو تمكنا من استخدام كامل ذكائنا. ستقوم الآلات بكل شيء بالنيابة عنا. ولن تكون بحاجة بعد الآن لتحمل الصليب على كتفيك.

ستقوم الآلات بكل الأعمال وسيتحرر الإنسان لأول مرة من العبودية؛ وإلا كانت الحرية غير فعلية. ولكن عليك أن تحصل على لقمة العيش، وعليك أن تكسب بعض المال لتبني مسكنًا، ولتشتري الدواء، وأشياء أخرى.

أنت مستقل ظاهريًا، ولكنك لست كذلك فعليًا. العبودية القديمة لم تعد موجودة؛ لقد زالت السلاسل الحديدية. ولكن هناك الآن سلاسل غير مرئية - أولادك، وأهلك المسنون، وزوجتك المريضة، وعملك.

الإنسان لم يتحرر بعد؛ إنه يعمل ثماني ساعات يوميًا ويحضر بعض أعماله لينجزها في المنزل. يعمل متأخرًا أثناء الليل في المنزل،

ويعمل في عطلات نهاية الأسبوع. هل يمكنك أن تدعو ذلك حرية؟ هل هؤلاء الناس أحرار؟ فكّر بنفسك وحسب: هل أنت حقًا حر؟

هناك إمكانية واحدة لتحرير الإنسان تتمثل في التكنولوجيا الخارقة، التي يمكنها أن تقوم بكل أعمال الإنسان بحيث يصبح متفرغًا للقيام بالأعمال الخلاقة المبدعة. يتفرغ ليعزف الغيتار، وليغني أغانيه. ويمكنه أن يرسم أو ينحت. يمكنه أن يخلق حدائق غناء. ويمكنه أن يصنع آلاف الأشياء ليجمّل هذه الأرض.

إن الوعي سيحرر ذكاءك بكامله، وسيجعلك ناضجًا. وبعد ذلك تتواصل عملية النضج. إن الإنسان يكبر في السن فقط ولكنه لا ينضج. وهناك فرق كبير بين الاثنين. جميع الحيوانات تكبر في السن، ولكن الإنسان فقط يمكنه أن ينضج. وأن نكبر في السن يعني فقط أننا نقترب من الموت، وهذا ليس بالإنجاز الهام. النضج يعني أننا في طريقنا لبلوغ حالة الأبدية التي لا بداية لها ولا نهاية.

عندما تكبر في السن، أنت في طريقك إلى الزوال. وعندما تنضج، تصبح خالدًا، وتدخل في عالم الأبدية. سوف تبدّل عدة مساكن، وسوف تأخذ أشكالاً مختلفة، وسيكون كل شكل أفضل من الأشكال السابقة لأنك تنضج. أنت تستحق أشكالاً أفضل، أجسادًا أفضل. وفي النهاية سيأتي وقت لن تحتاج فيه إلى جسد. ستصبح وعيًا خالصًا ينتشر في كامل الوجود. وهذا ربح وليس خسارة.

قطرة ندى تنزلق من زهرة اللوتس إلى المحيط... قد تظن أن هذه القطرة ضاعت وأضاعت هويتها. ولكن حاول أن ترى الأمور من زاوية مختلفة: القطرة أصبحت المحيط. لم تخسر أي شيء، لقد أصبحت بوسع المحيط.

الوعي هو الطريقة التي توقظ ذكاءك أولاً، ثم توقظ ذاتك الحقيقية وتساعدك على بلوغ النضج، وتحقق لك الأبدية، وتوحدك في النهاية مع الكون.

النضج هو عملية متواصلة. ليس هناك أي توقف، حتى لجزء من الثانية. وكما أن الكون لا نهاية له، كذلك لا نهاية لإمكانيات النضج عند الإنسان.

يمكنك أن تصبح في غاية الضخامة... وعيك غير محصور في جسدك. يمكنه أن ينتشر في كامل الوجود ويحتوي كل النجوم. ولن تجد لافتة تقول: «هنا ينتهي الكون». هذا مستحيل. الكون لا يبدأ على الإطلاق؛ ولا ينتهي على الإطلاق.

وأنت جزء من هذا الكون. كنت هنا منذ الأبد وستبقى هنا إلى الأبد. إن الشكل فقط يتغير، وليس للشكل أهمية. والمهم هو المحتوى. إذًا تذكّر ذلك، وخاصة في أميركا، حيث الوعاء أهم مما يحتويه. ولماذا الاهتمام بالمحتوى؟ المهم أن يكون الوعاء جميلاً.

تذكر أنك لست الوعاء. أنت المحتوى. إن الشكل يتغير، أما وجودك فيبقى على حاله. يستمر في النمو والنضج، ويزداد غنىً.

ثم تسأل: «ما العلاقة بين الوعي والنضج؟».

الوعي هو الطريقة؛ والنضج هو النتيجة. إذًا حاول أن تصل إلى أقصى درجات الوعي وستبلغ حتمًا أعلى درجات النضج. إذًا أنا أعلّمك الوعي، فلا تسأل عن النضج. ستبلغ النضج إذا كنت واعيًا.

هناك ثلاث خطوات لبلوغ الوعي.

أولاً، كن واعيًا لجسدك - وأنت تمشي، وأنت تقطع الحطب، أو عندما تحمل الماء من النبع. راقب، كن واعيًا ويقظًا. لا تقم بأي عمل كالأموات الذين يخرجون من القبور، أو كالذين يمشون أثناء النوم.

ثانيًا، عندما تصبح واعيًا لجسدك وأفعاله، تحرك باتجاه أعمق - إلى عقلك ونشاطاته، والأفكار، والتخيلات، والإسقاطات. سوف تشعر بالمفاجأة عندما تصبح واعيًا لعقلك.

وسوف تفاجأ أيضًا عندما تصبح واعيًا لعملياتك الجسدية. يمكنك أن تحرك يدك بطريقة آلية كما يمكنك أن تحركها بوعـــي تـام. عنـدما تحركـها بوعـي تـام تشـعر بالرشـاقة والجمال.

يمكنك أن تتكلم من دون وعي. هناك كثير من المتكلمين والخطباء... أنا لا أجيد فن الخطابة، لأن ذلك يبدو في منتهى الحماقة بالنسبة لي. عندما يكون لدي شيء لأقوله، أقوله لكم وأنا في حالة وعي تام لكل كلمة أقولها، ولكل برهة توقف أقوم بها... أنا لست خطيبًا.

ولكن عندما تصبح واعيًا لكلامك، يصبح فنًا. عندها يقارب في تنوعه الشعر والموسيقى. هذا سيحصل حتمًا إذا كنت تتكلم بحالة وعي تام. عندها يصبح لك كلمة، ولكل حركة جمالها الخاص.

عنـدما تصـبح واعيـًا لنشـاطك العقلـي، سـتكون المفـاجأة أعظم. وكلما ازداد وعيك، قلّت الأفكار في ذهنك. والعكس صحيح. لأن الطاقة هي ذاتها.

كلمـا ازداد وعيك، قلّت الطاقـة المتبقيـة للأفكـار. وعنـدما تصبح واعيًا بنسبة 100% يصبح العقل بحالة صمت تامة. وهذا هو الوقت للتحرك بمزيد من العمق.

الخطوة الثالثة: أن تصبح واعيًا لأحاسيسك، وأمزجتك، وعواطفك. إذًا، أولاً الجسم وأفعاله؛ ثانيًا، العقل ونشاطاته؛ ثالثًا، القلب ووظائفه.

عنـدما تنقـل وعيـك إلـى القلـب، سـتحصل علـى مفـاجأة جـديدة. كـل مـا هـو جيـد ينمـو، وكـل مـا هـو سـيئ يبـدأ بـالاختفاء. ينمـو الحـب وتختفـي الكراهيـة. ينمـو العطـف ويختفي الغضب. تنمو المشاركة ويختفي الطمع. عندما يصبح وعيك للقلب في أقصى درجاته، تحصل على آخر وأعظم مفاجأة: لن تقوم بأية خطوة إضافية. تحصل قفزة نوعيـة بصـورة تلقائيـة. مـن القلـب تشـعر أنـك فـي قلـب الوجود.

هناك أنت واعٍ للوعي فقط. لا يوجد أي شيء آخر لتعي وجوده. وهذا منتهى النقاوة. هذا ما أسمّيه التنوّر.

وهذا حقك منذ الولادة! إذا أضعته، فأنت وحدك تتحمل المسؤولية. لا يمكنك أن تلقي المسؤولية على أي شخص آخر.

والأمر في غاية السهولة والبساطة. كل ما عليك فعله هو أن تخطو الخطوة الأولى.

الصعوبة هي في الخطوة الأولى فقط. وباقي الرحلة هو في غاية البساطة. وهناك من يقول إن الخطوة الأولى هي الرحلة بكاملها.

عن المؤلّف

يتحدى أوشو التصنيف. تتطرق آلاف الأحاديث التي ألقاها إلى كل شيء، بدءاً بالمسعى الفردي إلى اكتناه الجوهر، وصولاً إلى القضايا الاجتماعية والسياسية الضاغطة التي تواجه المجتمع اليوم.

مؤلفات أوشو لم تُكْتَب بل نُقِلت من تسجيلات صوتية ومرئية لأحاديثه المرتجلة إلى الجمهور العالمي. وكما يقول هو: تذكر أنّ أياً يكن ما أقوله فهو ليس موجّهاً إليك وحدك... أنا أتكلم أيضاً إلى الأجيال القادمة.

وصفته صحيفة «الصنداي تايمز» اللندنية بأنه واحد من بين ألف شخصية صنعت القرن العشرين. أما الكاتب الأميركي توم روبنز، فعدّه «الرجل الأكثر خطورةً منذ يسوع المسيح». اختارته صحيفة «صنداي ميد - داي» الهندية واحداً من عشرة أشخاص غيّروا مصير الهند، إلى جانب غاندي ونهرو وبوذا.

وعن عمله يقول أوشو إنه يساعد على تكوين الشروط لولادة نوع جديد من البشر. وغالباً ما يصف هذا النوع الجديد بأنه زوربا بوذا، القادر على التمتع بالمباهج الدنيوية لزوربا اليوناني والصفاء الساكن لغوتاما بوذا معاً.

تهيمن على جوانب أحاديث أوشو وتأملاته رؤية تحيط، على حدّ سواء، بالحكمة الخالدة في كل العصور الغابرة، وما في علوم وتكنولوجيا اليوم والغد من طاقة كامنة في حدها الأقصى.

المعروف عن أوشو إسهامه الثوري في علم التحوُّل الداخلي مع مقاربة تأملية تقرّ بالإيقاع السريع للحياة المعاصرة. وما تتفرّد به تأملاته الفعّالة مكوّن أولاً لتنفيس إجهادات الجسد والذهن المتراكمة، وبذلك يكون أسهل خوض تجربة سكون وارتخاء خالٍ من الإجهاد الفكري داخل الحياة اليومية.

لمزيد من المعلومات:

www.OSHO.comموقع إلكتروني شامل، متعدد اللغات، يتضمن مجلةً وكتبَ أوشو وأحاديثه بشكليها الصوتي والمرئي وأرشيف المكتبة باللغتين الإنجليزية والهندية ومعلومات مكثفة عن تأملاته.

كما تجدون في الموقع جدول برنامج جامعة أوشو الكبيرة ومعلومات عن منتجع أوشو العالمي للتأمل.

مواقع إلكترونية:

http://OSHO.com/resort http://OSHO.com/magazine
http://OSHO.com/shop
http://www.youtube.com/OSHO
http://www.oshobytes.blogspot.com
http://www.Twitter.com/OSHOtimes
http://www.facebook.com/OSHO.International
http://www.flickr.com/photos/oshointernational

للاتصال بمؤسسة أوشو الدولية:

www.osho.com/oshointernational,
oshointernational@oshointernational.com

منتجع أوشو العالمي للتأمل

الموقع: يقع على مسافة مئة ميل أو مئة وستين كيلومتراً جنوب شرق مومباي في مدينة بون الحديثة المزدهرة في الهند. ويعتبر منتجع

أوشو العالمي للتأمل مكاناً متميزاً لقضاء العطلة. يمتد المنتجع على مساحة 40 فدّاناً أو 168 ألف متر مربع من الحدائق الغناء في بقعة رائعة مسوّرة بالأشجار.

التميُّز: يستقبل منتجع التأمل سنوياً آلاف الزوار من أكثر من مئة بلد. ويوفّر المجمع الفريد من نوعه فرصة لتجربة شخصية مباشرة لنمط حياة جديد، مع مزيد من الوعي والاسترخاء والبهجة والإبداع، ويقدم أصنافاً متنوعة من البرامج والخيارات على مدار الساعة والسنة، منها عدم القيام بأي عمل والاسترخاء فقط. البرامج كلها تركز في رؤية أوشو لزوربا-بوذا، وهو نوع جديد من البشر قادر على الإسهام الإبداعي في الحياة اليومية والاسترخاء في جو الصمت والتأمل.

التأمّل: برنامج يومي كامل من التأملات خاص بكل نوع من أنواع الأشخاص، ويتضمن طرائق سلبية وإيجابية وتقليدية وثورية ولاسيما طرائق أوشو التأملية الفعّالة.

يجري التأمل في ما يُعتبر صالة التأمل الكبرى في العالم، وهي قاعة أوشو.

الجامعة الكبيرة: جلسات فردية، حلقات دراسية وورش عمل تتناول كل شيء، بدءاً بالفنون الإبداعية والصحّة الشمولية والتحول الشخصي، مروراً بالعلاقات ومراحل الحياة الانتقالية والعمل باعتباره تأملاً، والعلوم الباطنية، وانتهاءً بمقاربة «الزّن» للرياضات والاستجمام. ويكمن سر نجاح الجامعة الكبيرة في حقيقة أن برامجها مُدْمَجة بالتأمل ومعزِّزة لنظرة فحواها أننا، نحن البشر، كمجموع أهم وأبعد شأناً من حالنا كأفراد.

حمام باشو المعدني: يوفر هذا الحمام الفاخر سباحة مترفة في الهواء الطلق في إطار من الأشجار والطبيعة الاستوائية. أما الجاكوزي الفسيح والمصمَّم بشكل متميّز وحمامات البخار وصالة

الألعاب الرياضية وملاعب كرة المضرب، فيزيد جاذبيتَها محيطَها الباهر الجمال.

الطعام: أماكن تناول الطعام متعددة ومتنوعة، وتقدم طعاماً نباتياً غربيّاً وآسيوياً وهنديّاً لذيذاً. معظم الأطعمة تُنتج عضويّاً خصيصاً لمنتجع التأمل. كما أن فرن المنتجع الخاص يقدم أنواعاً مختلفة من الخبز والحلوى.

الحياة الليلية: هناك كثير من أنواع الأمسيات، وعلى رأسها الرقص إلى جانب نشاطات أخرى كالتأمل تحت النجوم في ليالٍ مقمرة، وعروض متنوعة وحفلات موسيقية وتأملات في الحياة اليومية. أو يمكنك الاكتفاء بمقابلة الناس في مقهى بلازا أو التنزه في هدأة الحدائق الليلية وسط بيئة ساحرة.

المرافق: يمكنك شراء حاجاتك الأساسية ولوازم النظافة والتجميل من المعرض. وفي المعرض المتعدد الوسائط تجد مروحة واسعة من منتجات أوشو الإعلامية. وهناك أيضاً مصرف ووكالة سفر ومقهى إنترنت داخل المجمع. أما الذين يهوون التسوق فتتيح لهم مدينة بون كل الخيارات، بدءاً من المنتجات التقليدية والاثنية وصولاً إلى مخازن الماركات العالمية.

الإيواء: بإمكانك اختيار الإقامة في الغرف الأنيقة لمضافة أوشو. ولإقامة طويلة الأمد اختر واحداً من حزمة برامج السكن. علاوةً على ذلك تتوفر مجموعة متنوعة من الفنادق القريبة والشقق الفندقية.

--انتهى--